الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de L'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
جامعـــــــة 8 مـــــــاي 1945 قالمة Université 8 Mai 1945 Guelma
كلية الآداب واللغات Faculté des Lettres et des Langues

الرقم : ..... N° : .....

مذكـــــرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــــــــــــــــــــر

(تخصص تحليل خطاب)

ثنائية المرأة والوطن في شعر نزار قباني

– دراسة سيميائية لنمـــــاذج مختارة –

مقدمة من قـــــبل:
فهيمة فرج الله

تاريخ المناقشة : جوان 2015

إبراهيم كربوش	رئيســـا	أستاذ مساعد "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
وردة بويـــران	مقـــررا	أستاذة مساعدة "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أحلام عثامنية	ممتحنا	أستاذة مساعدة "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة: 2015

شـكر وتقديـــر :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..

والصلاة والسلام على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين ..

وبعد ..

لا يسعني وقد منّ الله عليّ بانجاز هذا العمل المتواضع إلاّ أن أتوجه بشكري الجزيل لأستاذتي الفاضلة " بويران وردة " لإشرافها على هذا البحث وعلى إرشاداتها وتوجيهاتها السديدة ، فجزاها الله كلّ الخير .

كما أتوجه بجزيل الشكر للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على ما سوف يتفضلون به من ملاحظات وما يبدونه من تصويبات .

إلى جميع أساتذتي في قسم اللغة والأدب العربي وإلى الذين أسهموا في المضي بهذا البحث قدما ولو بكلمة طيبة شكري وعرفاني .

مـــــــــــدخل :

1 – مفاهيم عامة حول منهج الدراسة

2 – جدلية المرأة والوطن في الشعر العربي المعاصر:

–المرأة والرمز

–المرأة والوطن

–المرأة الحرية

3 – المرأة والوطن موضوع خام للشعر العربي المعاصر

1- مفاهيم عامة حول منهج الدراسة :

تعدّ السيميائيات تخصصا معرفيا حديثا، فهي وليدة القرن العشرين ، وكانت مزدوجة النشأة بين تشارلز ساندرس بيرس وفرديناند دي سوسير .

عرّفها سوسير بأنّها :" علم يدرس حياة العلامات في الحياة الاجتماعية " [1] ،وقد تكتسب العلامة دلالتها من خلال اختلافها عن العلامات الأخرى ، وهذا الاختلاف هو الذي يولد إمكانية وجود مجتمع لغوي[2].

فيما عرّفها بيرس بأنها الاسم الآخر للمنطق ، فيقول:" إنّ المنطق بمعناه العام هو اسم آخر للسيمياء...وهي مذهب شبه ضروري وشكلي للعلامات "[3] .

وهي كما يراها جميل حمداوي عبارة عن لعبة التفكيك والتركيب ، وتحديد البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ، وصرفيا ، ودلاليا ، وتركيبيا ، ومن ثمّ تستكنه السيميولوجيا مولدات النصوص وتكوناتها البنوية الداخلية ، وتبحث جادة عن أسباب تعدد ولانهائية الخطابات والنصوص، وتسعى إلى اكتشاف البنيات العميقة الثابتة ، وترصد الأسس الجوهرية المنطقية ، والتي تكون وراء سبب اختلاف النصوص والجمل والملفوظات والخطابات ، وبالتالي فما يهمها هو كيف قال النص وما قاله ، فهي إذن دراسة شكلانية للمضمون، تمرّ عبر استنطاق الشكل، من أجل تحقيق معرفة بالمعنى سطحا وعميقا [4].

ومع كثرة التعريفات وتباينها، إلاّ أنّها تصبّ في كون السيميائيات علما يدرس نظام العلامات، ويبحث في القوانين والعلاقات التي تربطها بدلالاتها .

يواجه المنهج السيميائي كغيره من المناهج الغربية الأخرى تداخلا وتعددا في المصطلحات ،إذ نلاحظ أنّ كلّ دارس يتبنى مصطلحاتا معينة ، بحسب انتمائه الفكري ، ومرجعيته المعرفية التي ينهل منها ، ومن مصطلحاتها في العالم العربي : السيميائيات ، السيميولوجيا ، السيميوطيقا ، علم العلامات، علم الإشارات ، علم الدلالة ، ...الخ .

وعلى الرغم من اختلاف المصطلحات ، فإنّ الحقيقة التي لا يختلف حولها علم السيمياء أو السيميولوجيا هي أنّها علم تفسير المعاني، والدلالات، والرموز، والإشارات ، ...وغيرها ، ولا يخفى أنّ

---

[1] فيصل الأحمر : معجم السيميائيات ، ط1، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2010 ، ص 11 ، 12 .

[2] لطيف الزيتوني : معجم مصطلحات نقد الرواية ، ط1 ، دار النهار للنشر ، لبنان ، 2002 ، ص 111 .

[3] المرجع نفسه ، ن ص .

[4] جميل حمداوي : السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق ، ط1 ، الورّاق للنشر والتوزيع ، عمّان ، 2011 ، ص 17 ، 18 .

السيميولوجيا تركّز جهدها على عمليات الدال ، فهي تبحث في الأنظمة الدلالية ، للشفرات والعلاقات وطرق إنتاجها للمعنى [1] .

ينطلق المنهج السيميائي من اعتبار النص يحتوي على بنية ظاهرة (سطحية) ، وبنية عميقة ، وتحليلهما ينصّ على تبيان ما بينهما من علاقات، فالنص بحسب ما يراه السيميائيون هو شبكة من الشفرات التي يحاول القارئ فكّها [2] .

للمنهج السيميائي اتجاهات كثيرة [3] تختلف بحسب مرجعياتها وأسسها و مجالات تطبيقها ، ولعلّ ما يهمنا في هذا البحث هو تلك الدراسات السيميائية التي تناولت الخطابات الشعرية بالتحليل ، ومن أبرز من استعمل التقنية السيميولوجية في مجال الشعر عند الغرب ، نذكر: مولينو ، رومان جاكبسون ، جوليا كريستيفا ، جيرار دولوال ، ميكائيل ريفاتير ، ...الخ .

أما في العالم العربي فنذكر : محمد مفتاح في دراسته لرائية ابن عبدون (في كتابه: تحليل الخطاب الشعري) ، وعبد المالك مرتاض في دراسته لقصيدة ليلاي لمحمد العيد آل خليفة، وقصيدة شناشيل ابنة الحلبي للسياب (في كتابه: التحليل السيميائي للخطاب الشعري) ، وعبد القادر فيدوح في دراسته لنونية بكر بن حماد (في كتابه: دلائلية النص الأدبي) ، ومحمد السرغيني في دراسته لقصيدة المواكب لجبران خليل جبران (في كتابه: محاضرات في السيميولوجيا) ، وصلاح فضل في دراسته التي وقفت عند نصوص شعرية للبياتي وصلاح عبد الصبور وعلي الشرقاوي (في كتابه: شفرات النص) ، ...الخ [4].

أما فيما يخص المستويات الإجرائية للمنهج السيميائي، فإنّ تطبيقها على النصوص الإبداعية الشعرية تبقى عملية معرفية معقدة ، تختلف في تقنياتها من باحث لآخر ، ذلك أنّ ثمة من يستفيد من إجراءات سيميائية لمدارس مختلفة ، وهناك من يلتزم بطريقة محددة لسيميائي معين ، في حين يتناول بعضهم ظاهرة معينة في مجموعة من النصوص ، ولاشك أنّ طبيعة النص هي التي تفرض على الباحث طريقة التحليل ، والأخذ بإجراءات بعينها دون أخرى.

---

[1] ميلود قيدوم : التأويل السيميائي : قصيد "وعاد ... في كفن " نموذجا ، الملتقى الدولي الرابع في الأدب والمنهج : التأسيس المنهجي للدراسات النصية ، جامعة 8 ماي 1945 – قالمة – ، 25، 26 أكتوبر2011 ، ص85 .

[2] عصام خلف كامل : الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع ، السودان ،2003، ص18

[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص29 .

[4] فاتح علاق : التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر ، مجلة جامعة دمشق ، مج 25 ، عدد 1+2 ، 2009 ، ص 152، 153 .

ويرى محمد مفتاح بضرورة محاولة الوصول إلى تركيبة من الإجراءات من مدارس مختلفة ، ذلك أنه أدرك أنّ " أية مدرسة لم توفّق إلى الآن في صياغة نظرة شاملة ، وإنّما كلّ ما نجده هو بعض المبادئ الجزئية والنسبية ، التي إذا أضاءت جوانب بقيت أخرى مظلمة " [1]

ويذهب عبد المالك مرتاض إلى أن النص الشعري يحتمل أوجها عديدة ، لا يمكن لمنهج معين الإحاطة بها لذلك لابد من تركيب منهجي دون الوقوع في التلفيقية ، فلا البنوية ، ولا الأسلوبية ، ولا السيميائية وحدها قادرة بأدواتها المنهجية على الإحاطة بالنص ، من هنا حاول في النصوص التي حللها المزاوجة أو المثالثة أو المرابعة وربما المخامسة ، بين طائفة من المستويات باصطناع القراءة المركبة التي لا تجتزئ بإجراء أحادي في التحليل [2]، فهو يرفض أحادية التصور وأحادية التقنيات ، فالنص الشعري لا حدود لدلالاته فهو كما يراه عبد القادر فيدوح مثل بصلة ضخمة لا ينتهي تقشيرها ، فالنص هو الذي يدفع إلى استثمار عناصر دون أخرى ، إذ لا يجب الانطلاق من مفهومات مسبقة ، ومحاولة إسقاطها على النص، بل الانطلاق من النص ذاته وما يتطلبه من مفهومات إجرائية وأدوات تحليلية .

كما يرفض صلاح فضل أن يطبّق المنهج السيميائي حرفيا على النصوص ، ويحتفظ بحريته في الأخذ ببعض الإجراءات وترك بعضها الآخر انطلاقا من القراءة ذاتها ، وخضوعا لجاذبية النص دون محاولة فرض أسئلة مسبقة عليه [3] ، فما يتطلبه نص من إجراءات تحليلية غير ما يقتضيه نص آخر .

و إذا كان التحليل السيميائي للخطاب الشعري يختلف من نص لآخر ، أو من باحث لآخر من حيث الأدوات الإجرائية والمستويات المختلفة في التحليل ، فإنّه لا يختلف في كونه يفكك البنية السطحية ليكشف عن البنية العميقة ، كما أنه لا يختلف في القاموس السيميائي ، إذ يستعمل مصطلحات العلامة ، والرمز، والإشارة ، والمؤشر، والأيقونة ، وغالبا ما يستغل المربع السيميائي في كشف البنية العميقة للنص ، كما يستعين بإجراءات أسلوبية وتداولية ...الخ .

---

[1] محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري : استراتيجية التناص ، ط3 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص7 .

[2] عبد المالك مرتاض : التحليل السيميائي للخطاب الشعري ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2001 ، ص8 – 10.

[3] صلاح فضل : شفرات النص : دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد ، ط 2 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر، 1995 ، ص27 .

2- جدلية المرأة و الوطن في الشعر العربي المعاصر:

عندما بزغ عصر النهضة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أخذت ستائر الجهل التي أسدلت على المرأة العربية بالانزياح ، وبدأت أصوات المصلحين بالارتفاع لإخراجها من الظلام الدامس الذي تعيش فيه إلى النور والمستقبل الجديد الذي تنتظره، لتشارك الرجل في بناء المجتمع وتطوير الوطن العربي ، والوقوف في وجه الاستعمار ،كما دعوا إلى تعليمها ، وإنصافها وإعطائها كافة حقوقها، وإلى تغيير معاملتها بشكل كلي لأنها عمد من عماد المجتمع [1] ، فكان الشعر وسيلة فعالة لرفع لواء الدعوة إلى مناصرة المرأة وتحريرها من قيود الجهل والتخلف ...الخ ، وفي هذا الصدد يقول حافظ إبراهيم :[2]

مَن لِي بتربيةِ النِّسَـاءِ فإنّـهَا ... في الشَرقِ عِلَّـةُ ذلكَ الإخفَـاقِ
الأمُّ مَدرسَـــةٌ إذَا أَعْدَدتَـهَا ... أعدَدتَ شَعبًا طَيِّـبَ الأعْـرَاقِ
لَيْسَت نِسَاؤكمُو حِلًّا وجَواهِرَا ... خَوفَ الضَيَاعِ تُصَانُ فِي الأحقَاقِ
لَيسَـــت نِسَاؤُكُمُو أثَاثًا يُقتَنَى ... فِي الدُّورِ بَينَ مَخَـــادِعٍ وِطبَـاقِ

هذه إذن دعوة صريحة لتحرير المرأة من براثن الجهل والتخلّف، وإعادة النظر في دورها في المجتمع والمساحة المتاحة لها للتعبير عن نفسها وعلاقتها بالرجل ، ... فانطلق الشعر بذلك مشكّلا ساحة لصراع الأفكار والاحتمالات التي برزت على المسرح السياسي العربي ، وبدأت المرأة في هذه المرحلة الشعرية تدخل بحلّة جديدة ، تختلف عن الصورة التقليدية التي أخذتها في الشعر العربي القديم ، وكان العنوان العريض لهذه الصورة (حرية المرأة) ، فهل كان المضمون مماثلا للعنوان !؟ [3] .

تناول الشاعر العربي المعاصر موضوع المرأة من زوايا مختلفة ، حظيت فيها بحضور اختلفت مستوياته من شاعر لآخر بل عند الشاعر نفسه ، فنجدها تتلون بين المرأة الحقيقية التي تبحث عن وجودها وكيانها وتريد أن تفرض ذاتها في المجتمع العربي ، وبين المرأة الخيالية التي غدت رمزا شعريا زاخرا بالدلالات والحمولات، فعبرت تارة عن الوطن العربي وامتزجت معه حد التوحد ، وعبرت تارة أخرى عن همومه ومشاكله وقضاياه .

---

[1] ينظر: يوسف عبد المجيد فالح الضمور : صورة المرأة في شعر خليل مطران ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ، 2011 ، ص 23 ، 24 .

[2] حافظ إبراهيم : الديوان ، ط3 ، ضبط وشرح : أحمد أمين وآخرون ، دار العودة ، بيروت ، ص279 – 283 .

[3] ينظر : عمار عكاش ، صورة المرأة في الشعر العربي المعاصر ، الحوار المتمدن ، عدد 1131 ، 8 مارس 2005 ، ينظر الموقع الإلكتروني : www.ahewar.org

أ- المرأة والرمز:

أصبحت المرأة محورا من المحاور التي استخدمها الشاعر العربي المعاصر للتعبير عن مواقفه وتجاربه ، واتّسع المفهوم الرمزي لصورتها، وأخذ أبعادا شتّى للهواجس النفسية والهموم الوطنية والقومية التي يكابدها الشعراء في العالم العربي ، وتطور جمالها بعد أن كان منقذا للرجل في ساعات المحنة ، إلى رمز للآمال الكبرى التي يتطلّع إليها المواطن العربي في كل مكان ، فشُحن بذلك الخطاب الشعري بشحنة وطنية تحرض على الثورة والمقاومة ، ثورة تشارك فيها المرأة الرجل في حمل الهمّ الوطني والقومي .

إنّ تحوُّل الأمة العربية بكاملها إلى رمز يتشخص في زيّ امرأة لها عيون وجوارح، وأحلام وتطلعات، فتح المجال واسعا أمام الشاعر العربي المعاصر للتعبير عمّا يختلج نفسه، واتسعت مساحة التعبير أمامه حين أخذ الحديث عن هموم الأمة العربية وآمالها وأحزانها طابعا إنسانيا حيا ،ومن أمثلة هؤلاء الشعراء الذين وظفوا المرأة في شعرهم باعتبارها رمزا نذكر نزار قباني ، ومحمود درويش ، وسميح القاسم ، وبدر شاكر السياب ،...وغيرهم الكثير .

فعند نزار قباني مثلا نجد أن المرأة في شعره طاغية على معظم القصائد ، تمارس ضغطا فضائيا في جميع القضايا السياسية والاجتماعية والتاريخية...الخ ، وتبقى رمزا ومعادلا موضوعيا لا يكاد يبرح مخيلة الشاعر ، فهو" مثل روبرت فروست ، الذي صرّح بأنه لم يكتب في الطبيعة سوى قصيدة واحدة على كثرة ما كتب فيها ، وذلك لأن الطبيعة في قصائده ليست غاية في ذاتها بل هي جزء من فكرة شاملة تتخذ فيها التفاصيل المألوفة قيما فلسفية كبرى" [1] ، فقد باتت المرأة في شعره رمزا وتعبيرا عن القضايا الكبرى وعن الوطن والحرية ، والسياسة والثورة ...الخ ،كما في قوله :[2]

فأنتِ البِلاَدُ .. وأنتِ القَبِيلَهْ ..
وأنتِ القصيدةُ قبل التَكَوُّنْ
أنتِ الدَفَاتِرُ .. أنتِ المَشَاوِيرُ .. أنتِ الطفُولَهْ ..

فالمرأة هنا (أنتِ) تجاوزت جنسها لتشمل كل شيء في الوجود فهي البلاد والقبيلة ، وإليها ينتمي الشاعر وهي القصيدة والدفاتر والمشاوير ، وهي الطفولة بكل ما تحمله من دلالات ، وهي ذاكرة الشاعر ونشيده ...الخ .

---

[1] عبد الرحمن الوصفي : نزار قباني شاعرا سياسيا ، ط2 ، دار الفكر الحديث ، القاهرة ، 2002 ، ص65 .

[2] محفوظ كحوال : أروع قصائد نزار قباني في الحبّ والوطن والسياسة ، دار نوميديا ، الجزائر ، 2007 ، ص 222 ، 223 .

كما كانت المرأة رمزا للتغيير والثورة على المجتمع ، فهي المنطلق لأيّ تحرر اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي ، لأنّها العامل الأساسي في قيادة المجتمع ، فهي الأم والأخت والابنة والزوجة والحبيبة وبدونها لا يستقيم الوطن ،لذلك اعتبرها الشاعر فعلا وطنيا خالصا ، وأداة تغيير وقوة تحد ، حيث يقول : [1]

أُشهِرُكِ في وجهِ البُولِيسِ العَرَبِيِّ
أُغنِيَهْ ..
وفي وَجهِ النفطِ العَرَبِيِّ
قارورةَ عِطرْ
وفي وَجهِ المَوتِ العَرَبِيِّ
بَشَارَةَ وِلَادَهْ ...

أما في تجربة محمود درويش الشعرية مع المرأة ، فإنّ التعدد الظاهري لمفردات الأنثى عنده مثل : " دلال ، فيروز ، خديجة ، فاطمة ،... " لا ينم عن تجارب عاطفية خالصة انخرطت فيها الأنا مع الآخر، وإنما في الواقع يشير إلى مواقف سياسية ووطنية وعاطفية استجلاها الشاعر من خلال تعامله مع مفردات المرأة أو بعبارة أخرى أنّ كثيرا من أسماء المرأة التي وردت في خطابه الشعري بمثابة أقنعة ورموز فنية يخفي الشاعر وراءها رؤية أيديولوجية معينة أو هدفا سياسيا محددا ودليل ذلك أننا لا نستطيع أن نلمح تجربة حب ناضجة بين الشاعر و محبوبته و نعجز أن نلملم صفات جسدية أو معنوية متكاملة لشخصية واحدة من هذه الشخصيات ، فورود الأنثى في نص شعري يأتي غالبا مرتبطا بموقف مأساوي أو تجريدي بحيث ينتهي دور الأنثى بانتهاء ذلك الموقف ، ومثال ذلك قوله : [2]

عَاشِقٌ يَأْتِي مِنَ الحَربِ إِلى يَومِ الزِفَافْ
يَرتَدِي بَدلتهُ الأُولَى
ويَدخُلْ
حَلبةَ الرَقْصِ حِصانًا
من حمَاسٍ وقُرنفلْ
وعَلى حَبلِ الزَغَارِيدِ يُلاقِي فَاطِمِهْ
وتُغنِي لَهُمَا

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج4 ، ط2 ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، 1998 ، ص350 .

[2] محمود درويش : الأعمال الأولى ، ج2 ، ط1 ، رياض الرئيس للكتب والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2005 ، ص 239 .

كلُّ أَشجارِ المَنَافِي
ومَنَادِيلِ الحِدَادِ النَاعِمَهْ

فلم تكن فاطمة سوى الفتاة الفلسطينية التي تنتظر بفرح لحظة اللقاء بعريسها ، أو هي رمز لانتظار الفلسطيني للحظة اللقاء بوطنه ، فالعرس لم يكن عرسا بهيجا لالتقاء المحبين ، بل كان عرسا لوداع أحد طرفي المعادلة وهو العاشق ، أو كما يقول في قصيدة " طوبى لشيء لم يصل " : [1]

هَذَا هُوَ العُرسُ الفِلَسطِينِيُّ
لا يَصِلُ الحَبِيبُ إِلَى الحَبِيبْ
إلاَّ شَهِيدًا أو شَرِيدْ

وهكذا إذن فإنّ فاطمة لم تأتي لتمثل تجربة خاصة مع الآخر ، وإنما جاءت رمزا لحركة أكبر وأشمل تمثل حياة الشعب الفلسطيني في شكلها المأساوي وورودها بهذه الطريقة يشحن الخطاب بدلالات عميقة ، فمحمود درويش لم يخض تجربة حب صادقة إلا مع وطنه ، وكلّ ما سواها إنما هي خطرات آنية لم تتجاوز حدود القشرة الخارجية للتجربة .

وعلى غرار نزار قباني ومحمود درويش ، فهناك الكثير من الشعراء المعاصرين الذين تناولوا المرأة باعتبارها رمزا في قصائدهم ، وذلك لما تحمله في أعماقها من معاني النصر والصمود والتحرر .

ب– المرأة و الوطن :

خاطبت القصائد المعاصرة الوطن مخرجة إياه من مكانته الساكنة إلى حركته الإنسانية المتمثلة في المرأة، يتغزل بها الشعراء ، بقدّها الميّاس وبثغرها الباسم ، ولكنها في القصائد نفسها تنتقل في لحظة واحدة إلى سبية مسلوبة الكرامة تصرخ مستنجدة أو إلى أمة عربية تعاني ، وتحلم وتتطلع ...الخ [2] .

وفي تجربة حب الوطن كثيرا ما يختلط الأمر على المتلقي أثناء تعامله مع هذا النوع من القصائد ، بحيث لا يستطيع أن يفرق بين المرأة و الوطن فالحديث ظاهريا يتجه نحو المرأة ولكن ما إن تتعمق الدلالة جيدا حتى ترسو على قاعدة صلبة هي حبّ الوطن ، وتصبح المحبوبة في أغلب القصائد وطنا .

فعند محمود درويش مثلا نجد أنّ المرأة في شعره غالبا هي فلسطين ، إذ أنّها بالنسبة له الأم والمحبوبة والأخت ، هي كل شيء في حياته لذلك لقب "بمجنون التراب" ، و "شاعر الثورة " ، وعملية التمازج

---

[1] محمود درويش : الأعمال الأولى ، ج2 ، ص 157 .

[2] رضا محمد لداودة : القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير ، جامعة بير زيت ، فلسطين ،2005 ، ص86 .

بين المرأة والوطن هي ظاهرة بارزة في شعره ، هذا التمازج الذي بلغ ذروته ، حتى درجة التوحد ، لذلك نجده يرسم ملامح الوطن كما يرسم ملامح المرأة المحبوبة ، دون أن نشعر بمفارقة بينهما ، يقول[1] :

فِلَسطِينِيَةَ العَينَينِ والوَشمِ

فِلَسطِينِيَةَ الاسمِ

فِلَسطِينِيَةَ الأَحلَامِ والهَمِّ

فِلَسطِينِيَةَ المنديل والقدمينِ والجِسْمِ

فِلَسطِينِيَةَ الكَلمَاتِ والصَمتِ

فِلَسطِينِيَةَ الصَوتِ

فِلَسطِينِيَةَ الميلادِ والمَوتِ

وعملية التمازج بين المرأة والأرض (الوطن) ممتدة في التراث الإنساني لما بينهما من نقاط التقاء وتشابه ، فكلتاهما رمز للخصب والنماء ، كما أنهما رمز للحياة ، فبينما البدء الإنساني يتم بالخروج من رحم المرأة ، فإنّ المنتهى الإنساني يكون دخولا في رحم الأرض .

وثنائية "المرأة / الوطن" قدست باعتبارها مصدرا للحياة ، وهو ما دفع بالشاعر المعاصر لأن يتغنى بخطاب المرأة إمعانا في تقديس أرضه ووطنه ، والمرأة تكتسب قداستها لأنها حاملة لقيم الشرف عند الرجل ، وهي مقدسة عند درويش لأنها بالنسبة له الوطن الذي لم يستبح بعد ، لذلك لا يتورع الشاعر في مخاطبة الأرض (الوطن) كما يخاطب المرأة المعشوقة ، فتصبح بذلك قناعا يفرغ من خلالها كل مشاعر الشوق والحنين والحب تجاه وطنه وأرضه ، فتتحول القصيدة إلى ومضة حلم يتميز الحبّ فيه بالوطنية ، وتمتزج فيه صورة المرأة بالوطن ، ولا يعود باستطاعة أحد أن يفرق بين عاطفة الحبّ نحو المرأة وبين عاطفة الحبّ نحو الأرض والوطن ، يقول :[2]

أنَا ـ الأرضُ

والأرضُ أنتِ

خديجَةْ ! لاَ تغلِقِي البَابْ

لا تَدْخُلِي فِي الغِيابْ

سَنطْرُدُهُمْ مِن إناءِ الزُهورِ وحَبْلِ الغَسيلْ

---

[1] محمود درويش : الأعمال الأولى ، ج1 ، ط1 ، رياض الرئيس للكتب والنشر، بيروت ، لبنان ، 2005 ، ص92 ، 93 .

[2] محمود درويش : الأعمال الأولى ، ج2 ، ص286 .

سَنَطْرُدهُم عَنْ حِجَارةِ هَذَا الطَرِيقِ الطَوِيلْ

لقد أبدع محمود درويش في ربط الوطن بالمرأة بتنوعها المختلف عند الرجل ، خاصة الحبيبة وهذا ما أفصح عنه في هذه القصيدة فخديجة هنا ما هي إلاّ فلسطين المحتلة التي تبحث عن حريتها السليبة .

كما تجلت ثنائية المرأة والوطن في شعر سميح القاسم حيث نجده يمزج بينهما في قصيدة "ليلى العدنية" ، حيث يقول : [1]

شَاءهَا اللهُ شَهيَه !

شَاءهَا .. فَكَانَتْ .. كَبِلَادِي العَرَبِيَّهْ

شَعْرُهَا .. لَيْلَةُ صيفٍ بَينَ كُثبَانِ تُهَامَهْ

مُقْلَتَاهَا .. مِن مَهَاةَ يَمَنِيَهْ

فَمُهَا .. مِن رَطِبِ الوَاحةِ فِي البِيدِ العصيَّهْ

عُنقُهَا .. زَوبعَةٌ بَينَ رِمَالِي الذَهَبِيَهْ

صَدرُهَا نَجدُ السَلَامَه

يَحملُ البشْرَى إلَى نُوحٍ

فَعُودِي يا حَمَامَهْ !

ولَدَى خَاصِرَتيهَا ، بَعضُ شُطآنِي القَصِيَهْ

شَاءهَا اللهُ فَكَانت كبِلَادِي العِربِيَّهْ

تتجلى ثنائية المرأة والوطن في هذه القصيدة بوضوح ، فقد جسد سميح القاسم البلاد العربية برمتها في امرأة حسناء سماها " ليلى العدنية " .

أما في قصيدة " عصفورة ميتة " ، فنجد الشاعر يجسّد لنا فلسطين المحتلة في صورة امرأة رآها ذات مرة ، لكنه حين مدّ يديه ليلمس وجهها اختفت ولم يبق منها إلا عصفورة ميتة تطفو على الماء ، وهذه المرأة ليست إلا فلسطين التي ضاعت واستباح العدو أرضها وشعبها ، وسلبها حريتها وكرامتها ، وأخذ ينهش جسدها ويأكله حتى لم يتبقى منها سوى جزء صغير بحجم العصفورة : [2]

رأَيتُكِ أَنتِ ،

---

[1] سميح القاسم : الديوان ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، 1987 ، ص 154 ، 155 .

[2] سميح القاسم : الأعمال الكاملة ، ج2 ، دار سعاد الصباح ، القاهرة ، 1993 ، ص466.

وحِينَ مَدَدْتُ يَدِيّ لِأَلمِسَ وَجْهَكِ
ضَاعَتْ مَلَامِحُ وَهمِي الأَخِيرْ
تَشَظَّيْتِ مِثْلَ مَرَايَا الغَدِيرْ
وظَلَّتْ عَلَى المَاءِ
عُصفُورَةٌ مَيْتَهْ ..

أما عند نزار قباني فقد صارت قضية الربط بين المرأة والوطن هاجسا لديه ، ما يفتأ يكررها ويرددها كلّما وجد الوقت مناسبا ، ولعلّ هذا الربط يحدد خصوصية أدب نزار، فثنائية المرأة والوطن طاغية على شعره وهو ما سنتطرق إليه لاحقا في هذا البحث .

ج- المرأة والحرية :

شغلت قضية تحرير المرأة حيزا كبيرا في الشعر العربي الحديث والمعاصر ، وارتفعت أصوات كثيرة بين مؤيد ومعارض ، وليست دعوات قاسم أمين ، والزهاري ، والرصافي ، وجبران ، بعيدة عن الأذهان، ونزار قباني الذي وقف معظم شعره على المرأة وقضيتها .

إنّ حرية المرأة حلقة من السلسلة الحديدية التي تكبّل الإنسان العربي من ميلاده إلى موته ، فحريتها مرهونة بحرية الرجل، وفي هذا يقول نزار قباني : "لماذا لا نعترف بأنّ الرجل العربيّ هو مشكلة المشاكل .. فإذا ما تغيّر هو تغيّرت المرأة أوتوماتيكيا ..، فلا يمكن للمرأة أن تتحرر في كنف رجل عبد ، ولا يمكنها أن تتكلم في ظل رجل لا يعترف بالكلمة الأنثى " [1] .

ويقول كذلك : المهم أن أتغيّر أنا .. أن يتغيّر الرجل ..

فالمرأة هي الوجه الآخر لي ..
إذا تعاملت معها كوردة أعطتني عطرها ..
وإذا تعاملت معها كذبيحة ، سال دمها على ثيابي ..
وإذا تعاملت معها كجارية سقطت وأسقطتني معها
فليس هناك امرأة حرة .. إلاّ بوجود الرجل الحرّ ... " [2]

هكـذا إذن ربــط نزار قباني حرية المرأة بحرية الرجــل ، فقبل تحرير الرجل من عقد التسلـط والأنانية

---

[1] نزار قباني : الأعمال النثرية الكاملة ، ج7 ، ط2 ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ص 632 .
[2] المرجع نفسه ، ص 565.

والنرجسية ، وغسيل دماغه من مخلفات الغزو والنهب و الاستيلاء على السبايا .. فلا سبيل للبحث في تحرير المرأة ، فكل لافتات الحرية التي ترفعها الأنظمة عن تحرر المرأة هي مجرد ديكورات ثورية وعنوانا لم يجد سبيله إلى الواقع .

لقد كان الشعر وسيلة للمناداة بحرية المرأة وإنصافها في المجتمع و إعطائها كافة حقوقها ، فهاهو نزار قباني يحاول أن يكسر ذلك الطوق المفروض على المرأة منذ القديم ، و يحرّرها من سجن العادات و التقاليد السلبية ، فيقول على لسانها في " يوميات امرأة لا مبالية " [1] :

حُروفُ لاَ مُبَالِيَةٍ أُفْرِطهَا كَقَلْبِ الخُوخَةِ الأَحمَرْ
لِكلِّ سَجينَةٍ ... تَحْيَا
مَعي فِي سِجنيَ الأَكْبَرْ
حُروفٌ سوفَ أُغرِزُهَا بِلَحمِ حَياتنَا .. خِنجرْ
لِتَكسرَ فِي تَمرُّدهَا
جَلِيدًا كانَ لَا يُكسرْ ..
لِتَخْلعَ قُفلَ تَابُوتٍ ..
أُعِدَّ لَنَا لِكَي نُقبَرْ ..

إن ثورة المرأة للبحث عن حريتها هي كل لا يتجزأ ، ثورة ضد المحتل و ثورة ضد السلبي من الموروث و العادات و التقاليد ، وهذه المقولة تتفرع عنها مقولات أخرى أهمها أن مسؤولية تحرر المرأة و إثبات وجودها تقع على عاتقها بالدرجة الأولى لتتمكن من القيام بدور فاعل في وسطها الاجتماعي و هنا نجد نزار قباني يحرّض المرأة على الثورة لاسترجاع حقوقها و حريتها ، يقول : [2]

ثُورِي ! .. أُحِبُّكِ أَنْ تَثُورِي ..
ثُورِي عَلى شَرقِ السَبَايَا .. و التَكايَا .. و البُخُورِ
ثُورِي على التَاريخِ ، وانتَصرِي علَى الوَهمِ الكَبِيرِ
لا تَرهَبِي أَحدًا فَإنَّ الشَمسَ مَقبَرةُ النُسُورِ
ثُورِي علَى شَرقٍ يرَاكِ وَليمَةً فَوقَ السَرِيرِ ..

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ط2 ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ص584 .

[2] المصدر نفسه ، ص553 .

إن مقاومة المرأة في النهاية هي رمز لمقاومة الوطن و المواطنين ، فنزول المرأة إلى المجتمع و مشاركتها الرجل في خوض معركة التحرر الوطني و القومي لا يعدو إلاّ رمزا لمقاومة الوطن كله .

و المرأة عبر تاريخها ، سجّلت اسمها في سجلّ الثورة فكانت حاملة لواء الحرية مع الرجل جنبا إلى جنب ، ووقفت معه و ساعدته في الحروب بالقتال أو الطبابة ، ... ، فلقد ملأ فعل المرأة الحدث الثوري الراهن ، ولم يغب حضورها عن قلب النضال منذ القديم ، كما خاضت تجربة الكفاح و جسدت المعاناة الإنسانية الوطنية بكل ما فيها من انكسار و انتصار [1]

و المرأة الحرية أو الثورة حاضرة في الشعر العربي المعاصر و هي تدافع عن أرضها و وطنها ، و تقف في وجه كل من يحاول سلب شبر واحد منه ، و تذود عن أبنائها جميع المخاطر دون أن تأبه لرمي الرصاص، و تقدم نفسها روحا لأجل هذا الوطن .

و نزار قباني واحد من هؤلاء الشعراء المعاصرين الذين رسموا بشعرهم صورة المرأة المناضلة و هي تدافع حتى آخر أنفاسها عن حرية وطنها ، يقول في قصيدة " جميلة بوحيرد " [2] :

امرَأَةٌ دَوَّخَتِ الشَمسَا

جَرَحَتْ أَبعَادَ الأَبعَادِ

ثَائِرَةٌ مِن جَبَلِ الأَطلَسْ

يَذكُرُهَا اللَّيْلَكُ و النَرْجِسْ

يذكُرُها زَهرُ الكُبَّادِ ..

ما أَصغرَ (جَانْ دَارْك) فَرَنسَا

فِي جَانِبِ (جَانْ دَارِكِ) بِلادِي ...

مثلت "جميلة بوحيرد " في هذه القصيدة رمزا للمرأة المناضلة والثائرة التي تقدم روحها وحياتها من أجل الدفاع عن الوطن واسترجاع الحرية .

---

[1] ينظر: يوسف عبد المجيد فالح الضمور : صورة المرأة في شعر خليل مطران ، ص118 .

[2] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ط2 ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ص58 .

3- المرأة والوطن موضوع خام للشعر العربي المعاصر :

شغلت المرأة في الشعر العربي المعاصر حيّزا واسعا من الاهتمام فكانت المحرك الأساس، و العنصر الملهم للشعراء ، فوصفوها بأحلى الأوصاف و أروعها على الإطلاق.

مثّلت المرأة موضوعا شعريا زاخرا بالدلالات و المعاني ، و اتخذت صورا شتى و أشكالا متنوعة ، حتى غدت في آخر الأمر صورة للوطن بل وطنا في حد ذاته ، فامتزجت به ليصبحا قلبا واحدا ينبض بالشعر ، و وحدة متكاملة و مترابطة ، و موضوعا شعريا جديدا طرقه الشاعر العربي المعاصر و حاول الخوض فيه لسبر أغواره .

لقد غدا الحديث عن المرأة في الشعر العربيّ المعاصر ، حديثا عن الوطن العربيّ ، كما اتخذ الوطن بأبعاده الجغرافية الساكنة و حدوده الثابتة شكل امرأة حسناء ، فاتسعت مساحة التعبير أمام الشاعر ، وتعددت الدلالات و تعمّقت ، فقد أعطى الشاعر العربيّ المعاصر للمرأة بعدا وطنيا إذ أنه لا يشعر بحبّه لها إلا من خلال حبّه للوطن الذي نشأ فيه و انتهى إليه .

عرف الشاعر المعاصر كيف يمزج بين المرأة و الوطن ، حتى غدا الفصل بينهما أمرا أشبه بالمستحيل إن لم يكن مستحيلا ، إذ لا يمكن الفصل بين روحين في جسد واحد .

استقى نزار قباني كغيره من الشعراء العرب المعاصرين من هذا التمازج مادته الخام التي استند عليها في معظم قصائده ، فغازل المرأة و أحبّها فأحبّته ، و عشق الوطن فعشقه ، ليصبح من القامات الأدبية الفذّة التي تردد الحناجر العربيّة إيقاعاتها كلّما صدر عنها القصيد .

و المرأة باعتبارها موضوعا خاما للشعر العربيّ المعاصر ، قد استحوذت على اهتمام نزار قباني و احتلت مساحة واسعة من خطابه الشعري ، ومدّت ظلالها حتى على شعره الوطنيّ والسياسيّ .

فما المساحة التي احتلتها المرأة من شعر نزار قباني ؟ ، وما هي الصور التي اتخذتها فيه ؟ وما موقع الوطن من كلّ ذلك ؟ .

مقدمـــــــــة

آمن الشاعر العربي المعاصر بأنّ الشعر وليد الحياة في شتّى تفاعلاتها ، وأنّ منطق الكتابة الشعرية في ظلّ هذا المناخ يجب أن ينطلق أولا من إعلاء الذات الشاعرة ، وتأسيس نموذج شعري يتماشى مع واقع العصر الذي نعيشه آخذا صفة الفرادة من حيث اللغة والأسلوب ، والمواضيع المختارة ، محدثا بذلك تجديدا في الشعرية العربية ، فكان نزار قباني أحد أهمّ هؤلاء الشعراء العرب المعاصرين ، حيث استطاع أن يقتحم عوالم الكتابة وهو مدمج بالرؤى والفلسفات ، صانعا لنفسه ملمحا شعريا متميّزا شكّلت فيه ثنائية المرأة والوطن المعلم البارز ، حيث مزج بينهما وجعلهما كيانا واحدا .

يعدّ امتزاج المرأة بالوطن امتزاجا أزليا رسم لنا أبجدية نزار الشعرية ، والتي تحمل بين جوانحها كلّ معاني الحبّ والوطنية ، فتحول العشق إلى سلاح يدافع به الشاعر عن المرأة والوطن ، حتّى اعتلى مملكة الشعر العربي المعاصر بلا منازع .

إنّ محاولة الدخول في شعر نزار قباني تجعلنا نقف أمام إشكاليات كثيرة أبرزها : كيف تجلت صورة المرأة في شعر نزار قباني ؟ وهل كان وجودها في شعره واحدا أم أنّها اتخذت صورا وأشكالا مختلفة للظهور ؟ وما موقع الوطن من كلّ ذلك ؟ وهل يمكن الفصل بين روحين هما المرأة والوطن ؟ ، وعليه جاء العنوان المقرر للبحث : " ثنائية المرأة والوطن في شعر نزار قباني : دراسة سيميائية لنماذج مختارة " ، فدراسة ثنائية المرأة والوطن في شعر نزار قباني يمكن أن تحقق إضافة جادة للدراسات التي عالجت شعره ، وعسى أن يكون هذا البحث جديرا بمقاربة موضوع مهم كهذا .

وما دفعني لاختيار هذا الموضوع ، قلة الدراسات التي تناولت هذا الجانب من شعر نزار قباني حيث كانت الدراسات دائما تشتغل بالفصل بين المرأة والوطن ، والتعامل مع كلّ جانب على حدى بالدراسة والتحليل ، فبمقدار ما كان التغزّل بالمرأة واضحا في اللغة والصورة ، فإنّ مزجها بالوطن ظاهرة لا تتضح معالمها للكثيرين ، ومن هنا لاقت الدراسة مني ميلا لجدتها وطرافتها .

ونهدف من وراء ذلك إلى استجلاء أسباب هذه الظاهرة ومدلولاتها الفنية ، والبحث عن نوع العلاقة بين المرأة والوطن في جوانبها المختلفة ، وقد فرضت طبيعة البحث أن أعتمد في هذه الدراسة على المنهج السيميائي ، لأنّه منهج يسمح بمدى أوسع في التفكير ويمنحنا حرية أكثر في تحليل النصّ

الشعري ، كما يتقبّل شتى مستويات التأويل والقراءة ، ولا يتوقف عند ما هو ظاهري في سطح النص الشعري ، وإنّما يتجاوزه إلى المستوى العميق ، ولهذا توسّلت به كطريقة لاستنطاق قصائد نزار قباني وتبيان جماليات الخطاب الشعري فيها .

وفـي محاولة للإجابة على الإشكالات السابقة ارتأيت أن تكون خطة البحث في مقدمة ، فمدخل وخاتمة يتخلّلهما فصلان :

أمّا المدخل فقدم : أولا مفاهيما أساسية في المنهج السيميائي ، وثانيا تناول المرأة والوطن في الشعر العربي المعاصر باعتبارهما موضوعا شعريا زاخرا بالدلالات ، وجاء ذلك في محاور ثلاث هي: المرأة الرمز ، المرأة والوطن ، المرأة والحرية ، وقد مثلت هذه المحاور مدخلا مساعدا لتقديم الموضوع وتبيان بعض جوانبه وامتداداته ، وإعطاء فكرة مبسطة عنه دون التوسع فيه .

وجاء الفصل الأول موسوما بـ: " صورة المرأة والوطن في شعر نزار قباني " ، وقد اشتمل على محورين أساسيين أولهما : صورة المرأة في شعر نزار قباني ، حاولت من خلاله استجلاء صورة المرأة ، باعتبارها جسدا جميلا تغزّل به الشاعر ، وقضية تبنّاها ودافع عنها ، مبرزة فكرة الصراع بينها وبين القصيدة ، أمّا المحور الثاني فيتمثل في صورة الوطن في شعر نزار ، وقد اشتمل هو الآخر على عنصرين أساسين هما : مفهوم الوطن عند الشاعر وأهم القضايا الوطنية التي تناولها ، وحاولت من خلاله تقريب صورة الوطن كما رسمها الشاعر ، وقد عمدت في هذا الفصل إبراز صورة طرفي الموضوع (المرأة والوطن) على حدة حتّى يتسنى لنا في الفصل الثاني معرفة أسباب مزج الشاعر بينهما والغاية التي كان يهدف إليها ، وما نقاط الالتقاء بينهما .

وأمّا الفصل الثاني والأخير والموسوم بـ" ثنائية المرأة والوطن في شعر نزار قباني" فقد اشتمل على محاور ثلاث هي : جدلية المرأة والوطن ، والمرأة الوطن ، والوطن المرأة ، وقد حاولت من خلال هذه المحاور الإجابة على مختلف التساؤلات المطروحة سابقا ، حيث بيَّنْتُ الأسباب التي جعلت الشاعر يمزج بين المرأة والوطن و استجليت ما أمكن من الدلالات المترتبة عن ذلك .

وذيلت بحثي بخاتمة تناولت فيها أهم النتائج المستخلصة من الدراسة علّها تفتح بابا لدراسات

جديدة من باحثين آخرين .

كما اعتمد البحث على مصادر ومراجع مختلفة في مقدمتها الأعمال الكاملة للشاعر ، إضافة إلى العديد من المراجع الأخرى من أهمها :

- المرأة والوطن في شعر نزار قباني ، للتهامي الهاني .
- نزار قباني والشعر السياسي ، لمحي الدين صبحي .
- شعرية المرأة وأنوثة القصيدة ، لأحمد حيدوش .

وكأيّ بحث علمي واجهتني مجموعة من الصعوبات أثناء مسيرة البحث تمثّلت في قلّة المراجع التي تناولت الحديث عن المرأة والوطن في شعر نزار قباني باعتبارهما كيانا واحدا دون الفصل بينهما ، وصعوبة الحصول على بعض المراجع الأخرى .

ولا يسعني في الأخير إلا أن أحمد الله عزّ وجل الذي أعانني على إتمام هذا البحث ، كما لا يسعني كذلك إلا أن أجدد معاني الشكر والامتنان للأستاذة الموقّرة " بويران وردة " التي صبرت معي طيلة البحث ، وحرصت على إتمامه على الصورة المتواضعة التي جاء عليها ، ولم تبخل علي بنصائحها وإرشاداتها وتوجيهاتها ، وأرجو أن يقدم هذا البحث بما يحوي من نقصان إضافة علمية مفيدة للدراسات السابقة ، كما أرجو أن تتوسع آفاق البحث في مثل هذه الدراسات لتعطي مساهمة جادة في إثراء مكتبتنا اللغوية والأدبية .

الفصل الأول: صورة المرأة والوطن في شعر نزار قباني :

I. صورة المرأة في شعر نزار قبـــــــــاني :

1 – المـــــــرأة الإنســـــان :

–المرأة الجسد

–أشياء المرأة

–المرأة القضية

2 – المرأة والقصيـــــــدة :

II. صورة الوطـــن في شعر نزار قبانـــــــي :

1 – مفهوم الوطن عند نزار قباني

2 – أهم القضايا الوطنية في شعره :

–هزيمة الفكر والتخلّف وانعدام الوعي

–الوحدة العربية

–القضية الفلسطينية

–الحرية والثورة

تمهيد:

شغلت المرأة في شعر نزار قباني حيزا واسعا من الاهتمام، فكانت المحرك الأساس والعنصر الملهم له ، مشكّلة بذلك محور العالم النزاري الكبير، فقد جعل منها موضوعا خالدا للكتابة ، دائم التجدد، والتعدد، والتنوع ، والتلون ، يوحي له بآلاف الصور ، ويظلّ حاضرا دون أن يغيب لحظة واحدة ، وطيفا ووهما يحاصر مخيلة الشاعر ويفرض عليها أجمل الصور والتعابير.

إنّ المرأة كانت محور جلّ قصائد نزار ، " ومن خلالها انطلق يكتب فيها ولها علانية أو رمزا ، أو متحدثا فيها عن رغباته أو نزواته ، فشكّل لها تمثالا من مرمر الكلمات في شعره ، ولم يأبه بالمحيط العربي الذي يرزح بالعادات البالية والتقاليد العتيقة ، وحارب من أجلها الرؤوس المعممة ووقف شامخا يتلقى الطعنات من كلّ صوب في سبيل الوقوف نصيرا لها" [1] اتخذ منها موضوعا رئيسا للكتابة ، لأنه رأى فيها معشوقة ، وأما، وأختا ، ومعادلا فنيا للأرض والوطن ، والإنسان ، فهي في شعره حواء ، النصف الثاني للإنسان ...، وهي الحبّ واللذة المشتهاة وزمن الراحة والطرب ...، و هي قضية ورسالة ، ووعي بكائن بشري مظلوم على امتداد تاريخ الكون ، وهي الشعر و القصيدة بكل ملامحها وتفاصيلها ، وهي الحرية و الديمقراطية و السياسة والوطن[2] .

أمّا الوطن عند شاعرنا فهو عالم فسيح مترامي الأطراف ، لا يحدّه حد ولا يؤطّره مكان ، إنّه عالم متكامل بناه برؤى خاصة وأفكار متميزة ، وغازله بلغة شفيفة ، عانق فيه روح الحياة وأهدى كلّ قطعة فيه قصيدة شعر ، وكان في كلّ ما قاله صادقا لم يخالطه شك في حبّه لوطنه ، إلاّ أنّه كان غيورا ككل العاشقين ، فإذا هجا الوطن فلأنّه يريد لأبناء جنسه أن يروا النور ، ويتطلعوا إلى الحياة بعين المبدع الرائد، وعلى هذا الأساس كنّس ألوف الخرافات والأكاذيب التي تستوطن رأس الإنسان العربي ، وقاتل كلّ رموز القمع ، ولم يتزوج بين نساء العالم سوى امرأة واحدة هي الحرية ، ومارس نقدا جارحا للأخطاء السياسية لأنّ شعره لا يتوخى إلاّ مصلحة الوطن .

مما سبق يتضح لنا أنّ شعر نزار قباني قد ارتكز على محورين أساسين هما المرأة والوطن ، فكيف تجلت صورة كلّ منهما ؟ ، وما موقعهما من قصائد الشاعر ؟ .

---

[1] التهامي الهاني : الوطن والمرأة في شعر نزار قباني ، ط2 ، دار صامد ، صفاقس ، تونس ، 2004 ، ص76 .

[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص 75 .

I- صورة المرأة في شعر نزار قباني :

إنّ التعدد والتنوع الكبير في رسم نزار لصورة المرأة ، إنّما ينبع من تعدد رؤاه لها ، وعلاقته بها كموضوع فنيّ أولاه اهتمامه ، وككائن اجتماعي تعاطف معه ودافع عن قضيته ، وعلى هذا المستوى الفنيّ يمكننا حصر هذه العلاقة في محاور ثلاث ، سنتطرق إلى محورين اثنين منها في هذا الفصل ونحاول تبيانهما ، ويتجليان فيما يلي : المرأة الإنسان ، والمرأة والقصيدة ، أما المحور الثالث المتمثل في المرأة و الوطن فسنفرد له الفصل الثالث بالدراسة والتحليل .

1- المرأة الإنسان :

تناول نزار قباني المرأة باعتبارها كائنا له مقوماته الإنسانية ، وخصوصيته الأنثوية ، فنجده تارة يتحدث عنها سواء كانت أما، أو أختا، أو زوجة ، أو حبيبة ، ... يصفها ويصف جسدها وأشياءها، وتارة أخرى نجده يدافع عنها وعن قضيتها ، ويحاول جاهدا أن يخرجها من قوقعتها لترى الحياة .

وهب نزار شعره للمرأة في المرحلة الأولى من حياته الشعرية، وتحدّث عنها في مختلف صورها، سمراء وبيضاء وشقراء، وتحدث عنها عربية أصيلة وأجنبية، ووصف الشابة والتلميذة والعجوز ، وقدّم الثائرة والشرسة والوديعة والغاضبة ، وتحدث عن البغيّ والوفية المخلصة ، كما وصف قامتها وخصرها ولباسها ، ورسم وجهها وعينيها وشعرها ، وجسّدها في غضبها ورضاها وثورتها ، ...الخ [1] .

غاص الشاعر في عالم المرأة و استجلى صوره وأبعاده ، حتّى سمي بشاعر المرأة ، فكانت التسمية تعجبه أحيانا وتجرحه أحيانا أخرى ، لكنّه رغم ذلك كان يفتخر بتغنّيه بالمرأة ، معتزّا بمديح النساء ، غير آبه بما يمكن أن يقال أولا يقال .

ويمكننا الحديث عن المرأة الإنسان وحضورها في شعر نزار قباني وفق ثلاث مستويات بارزة ، فرضت نفسها في المرحلة الأولى من شعره ، وتتمثل هذه المستويات في : المرأة الجسد ، أشيا ء المرأة ، المرأة القضية .

---

[1] ينظر : التهامي الهاني : الوطن والمرأة في شعر نزار قباني ، ص82 .

أ- المرأة الجسد :

تعتبر المرأة عند نزار موضوعا شعريا ثابتا ، شديد التنوّع والتبدّل والتغيّر ، يوحي بآلاف الصور والأخيلة ، فمحاولة إحصاء الصور التي يوحي بها كلّ جزء في جسدها يشكّل حقلا دلاليا مدهشا ، وكلّ عنصر فيه يحرك كوامن الشاعر ويجعله يتفنن في رسم لوحات فنيّة بالكلمات [1] ، إذ نجده يصف الفم والعينين والشفتين والشعر والوجه والخصر ،...الخ .

ولعلّ اللافت للانتباه أنّ نظرة نزار للمرأة في المرحلة الأولى من شعره اتسمت بالتجزيئية ، وانصرفت إلى وصف الجسد فحسب ، دون الالتفات إليها ككائن له همومه وقضاياه التي تشغله ، فراح الشاعر يؤلف القصائد الكثيرة التي لم تخرج عن دائرة الجسد والغزل الحسي ، فوصف الجسد وشبهه بعديد الصور ، فمرة يحسبه بيانو ، وأراضي زراعية ، ومرة لغة ومحطة ، وكنيسة ، ... ، أمّا في المثال التالي فقد جعل منه خارطة ، حيث يقول : [2]

جِسمُكِ خَارِطتِي .. مَا عَادتْ
خَارطةُ العَالَمِ تَعْنِينِي ..

جعل نزار من جسد المرأة خارطة خاصة به ، يحصي تفاصيلها ، ويحاول أن يبني عليها مملكته الشعرية ، لأنّه وجد فيها مادته الشعرية الغنية بالصور الجديدة والجميلة ، ولهذا تنكّر لخارطة العالم التي ما عادت تعنيه ، فهي لا تلهمه بشيء على عكس المرأة التي تعدّ مصدرا للشعر ، وفـــي مقطع آخر من القصيدة نجده يتخذ من هذا الجسد موطنا له ، يلجأ إليه بعد بحث طويل :[3]

فَأنَا مُنذُ بَدءِ التَكْوِينِ
أَبْحثُ عن وَطنٍ لجَبينِي
عَنْ شَعرِ امرَأَةٍ ..
يَكْتُبُنِي فَوقَ الجُدرَانِ .. ويَمحُونِي

---

[1] ينظر : أحمد حيدوش: شعرية المرأة وأنوثة القصيدة: قراءة في شعر نزار قباني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،2001 ، ص104 .

[2] محفوظ كحوال : أروع قصائد نزار قباني في الحبّ والوطن والسياسة ، ص129 .

[3] المصدر نفسه ، ص130 .

عَن شَفةِ امرأةٍ تَجْعلُنِي
كَغُبَارِ الذهَبِ المَطحُونِ

جعل الشاعر إذن من جسد هذه المرأة (الشعر ، الشفة) وطنا يتلاشى أمامه ويختفي فيه ، لأنه وجد في المرأة ذلك الملاذ الآمن ، والصدر الحنون والرحب ، الذي يستطيع الشاعر من خلاله أن يعبّر عمّا يختلج نفسه من مشاعر ، كما وجد فيه مستقرا لروحه التائهة التي ظلّت طويلا تبحث عن وطن تستند إليه .

وفي نطاق التصوير لأجزاء المرأة ، يتحسس الشاعر جسدها فيصف العينان ناسجا منهما أجمل الصور ، إذ رسمهما ولونهما بالكثير من الألوان ، أسودها و أزرقها وأخضرها وبنيّها ...الخ ، حيث يقول في قصيدة "زيتية العينين " : [1]

زَيتِيَةَ العَينَينِ لَا تُغْلِقِي
يَسلَمْ هَذَا الشَفَقُ الفُسْتُقِي
رِحلَتنَا فِي نِصْفِ فَيرُوزَهٍ
أَغْرَقَتِ الدُنْيَا ولَمْ تَغرَقِ

في هذا المقطع تبدو لنا براعة الشاعر في تشكيل الصور ، حيث جعل من عيني حبيبته شفقا فستقيا وأحجارا كريمة أغرقت الدنيا ، وزرعت الوجود جمالا وسحرا ، مستخدما في ذلك ميزة اللون التي تعتبر سمة واضحة في شعره ، إذ يعتمد نزار على خطاب اللون بطريقة ملفتة للنظر وحتّى آخر طاقة ممكنة لديه ، فظهرت بذلك المرأة بألوانها من أظافر قدميها حتّى ضفيرتها ، وارتبط تلوين الجسد عنده بعلاقات حسية قام اللون فيها بوظيفة فعّالة .

ويبقى الجسد حاضرا حضورا طاغيا في شعر نزار ، وتتوالى أوصاف جسد المرأة ، فنجده يصف الشَعر، ويلونه هو الآخر بعديد الألوان ، وينحت منه صورا لا مثيل لها ، فيقول في قصيدة " الضفائر السود " :[2]

يَا شَعرَهَا .. علَى يَدِي
شَلاَّلُ ضَوءٍ أَسْوَدِ ..

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ،ج1 ، ص 42 .
[2] المصدر نفسه ، ص110 .

أَلُمُّهُ سَنَابِلاً

سَنَابِلاً ، لَمْ تُحْصَدِ ..

في هذا المقطع بالذات صورة شعرية فريدة ومتميزة ، يتلاعب فيها الشاعر بالأشكال والألوان ، فلقد استهواه شَعر المحبوبة بطوله وسواده وانسداله كالسنابل ، وتراءى له بأنّه شلاّل ضوء أسود ، ثمّ تحوّل هذا الشَعر في قصيدة أخرى من شلال ضوء أسود إلى زوبعة تهجم على الشاعر وتخلط كلّ أوراقه ، حيث يقول : [1]

إِذْ كَأنَ شَعْرَكِ فِي كَفِّي زَوْبَعَةٌ

وكَأَنَّ ثَغرَكِ أَحْطَابِي .. ومَوْقِدَتِي

شكّل جسد المرأة عند نزار عالما لا حدود له ، وأنشأ لغة خاصة من حيث التوليد الدلالي للكلمات والصور الذهنية غير المحدودة ، فالقصيدة عنده تبنى على قراءة جسد المرأة بوصفه نصّا مفتوحا، وموضوعا لحقيقتها المطلقة ، ولعلّ من العبث أيضا البحث عن امرأة بعينها في شعر نزار قباني، فهو لم يلجأ يوما إلى تخليد واحدة من نساء الواقع اللواتي عرفهن دون أن يسدل عليهن ستارا ويحولهن إلى رموز ، فالمرأة عنده مثال جمع فيه صفات العديد من النساء اللواتي عرفهن ، " والمرأة في شعره شأنها شأن المرأة التي نشاهدها في الحلم ، فيها عناصر من مجموعة من النساء ، ومن الصعب تحديد هويتها ، فالمرأة الجسد التي نقلها نزار قباني تجربة مشروطة أو ملونة بما يجري في الذهن في صورة تخييل مرتبط بأنموذج مستقر في الذاكرة " [2] .

ومن هنا لم يعد الشاعر يبحث عن امرأة من عالم البشر، وإنّما راح يبحث عن جنية نائمة بغابة، مرآتها بحيرة ومشطها سحابة ، يقول : [3]

خَطِيئَتِي ..

إِنْ كُنْتِ تَحْسَبِينَهَا خَطِيئَهْ

أَنَّنِي مِنْ طُفُولَتِي ..

أَبحَثُ عن جِنِيَةٍ نَائِمَة بِغَابَه ، مِرآتُهَا بُحَيرَه..

ومِشْطُهَا سَحَابَهْ

---

[1] محفوظ كحوال : أروع قصائد نزار قباني في الحبّ والوطن والسياسة ، ص79 .

[2] أحمد حيدوش : شعرية المرأة وأنوثة القصيدة : قراءة في شعر نزار قباني ، ص108 .

[3] نزار قباني : أشعار خارجة عن القانون ، ط3 ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ص 32 .

هذه المرأة فوق الخيال ، فهي امرأة لم يكتشفها أحد ، ومن ثمّ راح الشاعر يبحث عنها في المجهول ، ويحاول تشكيلها من ملايين الأشياء حوله ، خاصة من عناصر الطبيعة (غابة ، بحيرة ، سحابة) .

كرّر نزار عبارات الجسد شكلا وحركة ومظهرا ، فلا تكاد تخلو قصيدة منها ، حيث يستدعي الشاعر ملامح المرأة الجسدية لتصبح المرأة بذلك في هذه المرحلة مجموعة من الأشكال والحركات .

ب- أشياء المرأة:

غنّى نزار كثيرا بكلّ متعلقات المرأة من أدوات وحركات وأثواب ، وراح يشكّلها كما يشاء عبر قصائده الكثيرة ، معتبرا إياها مصدرا للشعر ، حيث يقول : " مادام هناك عقد واحد في جوارير حبيبتي لم أكتشف لون حبّاته ، ومادام في خزانتها ثوب واحد لم يره فضولي بعد ، فلا فرار من الشعر" [1].

ولعلّ الدهشة التي تثيرها أشياء المرأة لا تقلّ إثارة عن تلك التي يثيرها جسدها ، ومن ثمّ كان هذا الكمّ الهائل من الصور فنجده يصف الفساتين بمختلف ألوانها ، ويصف أحمر الشفاه والمشط والعقد ، والسوار، والكحل ، والشال ....، وغيرها الكثير من الأشياء الأخرى ، وفي هذا يقول : [2]

قَمِيصُكِ الأَخضَرُ ..مَنْ يَا تُرَى
بَاعَكِ هَذَا اللَّونَ ..قُولِي ، اصْدُقِي
أَمِن ضِفَافِ (السِينِ) خِيطَانُهُ
واللَونُ من دَانُوبِهِ الأَزْرَقِ

جذب القميص نظر الشاعر وشدّ اهتمامه ، فأخذ يسأل حبيبته من أين لها به فلونه كأنّه نهر السين أما الخيوط فتبدو من الدانوب الأزرق .

ويقول في قصيدة " أثواب " : [3]

أَلْوَانُ أَثوابِهَا .. تَجرِي بِتفكِيرِي
جَرِيَ البَيَادِرِ فِي ذِهنِ العَصافِيرِ

---

[1] نزار قباني : الأعمال النثرية الكاملة ، ج7 ، ص 66 .
[2] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص43 .
[3] المصدر نفسه ، ص 215 .

إنّ هوس الشاعر باللون واضح كثيرا في كلّ تجربته الشعرية ، فحين تكون المشاعر فياضة ، وتمسي كلمات اللغة العادية عاجزة عن استيفاء الغرض ، فلابدّ للشاعر من البحث العميق والاجتهاد في ابتكار لغة جديدة مناسبة ، يتخلى فيها عن المفردات اللسانية العاجزة ، ويلجأ إلى اختزال أدوات التعبير ووسائل التبليغ في استخدام الألوان لتكون أدقّ تصويرا وأصدق تعبيرا .

ويقول في قصيدة " أحمر الشفاه " : [1]

كَمْ وَشْوَشَ ..الحَقيبَةَ
السَوداءَ .. عَنْ جَوَاهْ
وكَمْ رَوَى .. لِلمُشْطِ
والمِرْآةِ ..مَا رَآهْ..
علَى فَمٍ ..أَغْنَى
مِنَ اللَوْزَةِ فَلقَتَاهْ

تناول نزار أشياء المرأة وألحّ عليها ، وجعل منها كونا شعريا واسعا (الثوب ، الحقيبة ، أحمر الشفاه ، المشط ، المرآة ...) ، مما يصحّ معه أن نقول بأنّ الشاعر " كان يبعثر المرأة ولا يلمّها في خلق سوي ، كان يجزئ ويركّز نظره على المفردات ، لأنّ كل عنصر مفرد كان يحميه من المرأة مكتملة إذ كان يجد فيه صورة قصيدة ، فكان يرى الجمال الطبيعي والمصنوع ويفتنه ، فيدخل في كونه دخول الطفل الذي تفتنه الفراشة ويعود جذلان لأنّه استطاع أن يقبض شعريا على تلك الفراشة " [2].

ج- المرأة القضية :

تبدو المرأة في شعر نزار قباني كثيرة الوجوه، متعددة الجوانب، مختلفة الملامح، تتغير بتغير السنّ والأوضاع والتجربة ، فبعدما كانت في مرحلة أولى مجموعة أشكال وحركات تدور في دائرة الجسد، تحولت في مرحلة أخرى إلى امرأة جديدة تختلف عن تلك التي عهدناها في المرحلة الأولى، فلم يعد حضورها حضورا جسديا فحسب ، بل امتد إلى جوانب إنسانية متعددة ، إذ حاول الشاعر التغلغل في عالمها ، وإضاءة الجوانب الإنسانية من حياتها ، والتعرّض لمشاكلها وقضاياها ، فانتقل بذلك من أن يكون جماليا إلى أن يكون سيكولوجيا ، " فأثار مسألة حرية المرأة و نادى بواجب كسر قيودها للتحرر ، وثار على

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص240 .

[2] إحسان عبّاس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ط2 ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1978 ، ص 140 .

العوائق التي تقف في طريقها ، كما ثار على المجتمع وقيمه البالية التي أضنى عليها الزمن ، وعاب على الأولياء الممارسات التعسفية على أبنائهم وبناتهم، ونادى بالواجب أن تتموقع المرأة في المكان المناسب من الهرم الاجتماعي ، ورفع شعار العدل والمساواة بين الجنسين " [1].

دعا الشاعر بعد إدراك قضية المرأة إلى " تفعيل آليات الرفض الاجتماعي رغبة في التغيير والتجاوز والخلق وتجسّد هذا في مواقفه الشعرية والنثرية على حد سواء حيث لاحظ أن تغير مسار المجتمع يبدأ من تغيير نظام الأسرة ، لأن نظام العائلة في المجتمع العربي هو نظام هرمي ، يقوم على السلطة والعنف ، ويحتلّ الأب فيه المركز الرئيس والأول ، ففي ظلّ هذا التسلط الأبوسي المتوارث نجد أنّ المرأة هي أكثر أفراد العائلة والمجتمع اضطهادا ، فمن المفجع أن يولد الإنسان أنثى في مجتمعنا " [2]، ومن هنا ربط نزار حرية المجتمع بحرية المرأة ، فحرية المرأة وحرية المجتمع جزءان لا يتجزءان ، على اعتبار أنّ قضية المرأة قضية مجتمع لا قضية فرد ، وتحريرها يتم بالتزامن مع تحرير المجتمع لا ضدّه مادامت الغاية واحدة .

أراد الشاعر للمرأة أن تكون ثائرة على كلّ الأوضاع التي تجعلها جارية تباع وتشترى بالمال ، فدفعها إلى التمرد على كلّ شيء يحاول طمس إنسانيتها ، كما أرادها أن تكون مناضلة ومستقلة بأحاسيسها ومشاعرها ، حرّة في رأيها ، فجاءت مجموعته الشعرية " يوميات امرأة لا مبالية " وهي عبارة عن مذكّرات امرأة شرقية لا مبالية ، وكلّ ما في لا مبالاتها أنّها أرسلت خواطرها حرة في مذكّراتها ، وعبّرت عن توقها الكبير إلى الحرية وخاصّة حرية الحب ، إذ نجدها تثور على الأب ثورة صريحة هجائية في طابعها : [3]

لِمَاذَا يَسْتَبِدُّ أَبِي ؟
ويُرْهِقُنِي بِسُلْطَتِهِ ..
ويَنْظُرُ لِي كَآنِيَةٍ
كسَطْرٍ فِي جَرِيدَتِهِ
ويَحرِصُ أَن أَبقَى لَهُ
كَأَنِّي بَعضُ ثَروَتِهِ

---

[1] التهامي الهاني : الوطن والمرأة في شعر نزار قباني ، ص90 .

[2] حبيب بوهرر : تشكّل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، ط1 ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2008 ، ص236 .

[3] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص592 .

ويقول في موضع آخر من القصيدة : [1]

كَهَارُونَ الرَشِيدَ أَبِي ..

(...)

ونَحْنُ هُنَا

سَبَايَاهُ ، ضَحَايَاهُ

مَمَاسِحُ قَصرِهِ القَذِرِ

في هذين المقطعين دعا الشاعر المرأة دعوة صريحة للثورة و الانعتاق من سلطة الآخر ومن هرمية المجتمع ، وهو هنا قد استعار لسانها ليعبّر عن تلك المأساة التي تعيشها هذه المرأة ، بتنوعها المختلف عند الرجل ، فهي سبية محرومة من أبسط حقوقها ، تعاني من استبدادات الرجل الشرقي الذي لم يع أهميتها في المجتمع ، وأصرّ في كل مرة على استعبادها ، واعتبرها غرضا تافها لا قيمة له (ك آنية ، كسطر في جريدته ، كممسحة بقصره) .

لطالما دافع نزار قباني عن المرأة واعتبرها أرضا يقاتل عليها ومن أجلها، فكتب الكثير من القصائد التي تناولت قضايا المرأة وحقوقها ، والمساواة بين الجنسين ، ولعلّ من أبرز هذه القصائد والتي أحدثت ضجة كبيرة في المجتمع العربي وقتها نذكر على سبيل المثال : "إلى أجيرة" ، "رسالة إلى رجل ما "، "صوت من الحريم" ، "رسالة من سيدة حاقدة" ، "الحبّ والبترول" ، "حبلى" ،...الخ ، يقول الشاعر في قصيدة " صوت من الحريم " : [2]

« تُحِبُّنِي »

وكَأَيِّ.. أيِّ امرَأةٍ تُحِبُّنِي

وِجْهٌ أَنَا ..وَجهٌ مِنَ الوُجوهِ في دَفترِكَ المُلَونِ

جَريدةٌ صَفراءَ تَطويني إذَا قَرَأتنِي

سَوسنةٌ تُضيفُهَا إِلَى أُلُوفِ السَوسَنِ

ولُعبةٌ من وَرقٍ ..تَشِيلُنِي ..

تَحطُّنِي ..

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص608 .

[2] المصدر نفسه ، ص340 .

فَإنْ رَأيتَ لُعبَةً جَدِيدَةً

حَطَّمْتَنِي ..

يمثل هذا الموقف دكتاتورية الرجل فحسب ، بل إنّه نوع من التغييب الكامل للمرأة ، في حين يبقى الوجود الحقّ في العالم للرجل وحده ، وعلى هذا فلا شيء على الأرض سوى الرجل ، فهو الأصل والمبدأ والمنتهى ، وما المرأة إلاّ ظلّ له ، أو لعبة ورقية يتسلى بها ، ويحطّمها ويرميها حين يملّ منها ليقتني من هي أجمل منها .

اهتم نزار كثيرا بالجانب الاجتماعي من حياة المرأة وتصاعدت ثورته ، فمن وصفه لأشياء المرأة الصغيرة جدّا إلى وصف قضاياها الكبيرة ، ومن وصف زينتها إلى وصف أحزانها ومشكلاتها ، وقد استطاع في قصيدة " حبلى " أن يربط بين قضية العصر والإنسان وينقل إلينا ما تقوله هذه المرأة حين تحمل والرجل المسؤول عن ذلك يدير ظهره لها : [1]

إنِّي لأَشعرُ أَنَّنِي حُبلَى !!

وصَرخْتَ كالمَلسُوعِ بِي

« كَلَّا ! »

سَنُمزِّقُ الطِفلاَ

وأَرَدْتَ تَطْرُدُنِي

صرخ الشاعر على لسان هذه المرأة التي أعارته صوتها ساخرة من ذلك الرجل الذي استغلّها تحت اسم الحب ، فراحت مخدوعة به وكالحمقاء استجابت له ولنزواته ، ولما حصل ما حصل وكان ما كان ، ذهبت إليه مستنجدة به ، تطلب عونه فصرخ بها وطردها وتجاهلها ، حينها أدركت جبنه ونذالته فهو قد تخلى عنها وأدار ظهره لها ليقع اللوم كلّه عليها وحدها .

أثار نزار قباني موضوعات جد حساسة في مجتمع عرب الأربعينيات من القرن العشرين ، فثار على التأويل الخاطئ للعقيدة التي ينتقى منها ما يكبل المرأة ، كما ثار على قضية التمييز بين المرأة والرجل ونادى بضرورة المساواة بينهما ، ويتراءى ذلك جليا في قصيدة " رسالة إلى رجل ما " :[2]

فَشَرْقُكُم يَا سَيِّدِي العَزِيز

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص340 .

[2] المصدر نفسه ، ص577 .

يُحَاصِرُ المَرأَةَ بِالحِرَابِ ..
وَشرْقُكم ، يَا سيِّدِي العَزيز
يُبَايِعُ الرِجَالَ أَنْبِيَاءً
ويُطْمِرُ النِسَاءَ فِي التُرابِ

نلحظ في هذه الأبيات ثورة المرأة الشرقية على قيم الشرق التي أضنى عليها الزمن ، وعلى الرجل الشرقي الغارق في جهله والخامل بتفكيره ، الذي يحاصر المرأة ويحاول القضاء عليها وتشييئها وطمس هويتها الإنسانية وطمرها في التراب .

يمضي نزار إلى التحريض والحثّ للثورة على هذا الواقع السيئ ، فيطالب النساء بوجود امرأة لها عديد المواصفات مثل امتلاك القدرة على الصراخ ، والجرأة على إعلان المخبوء ، وشجاعة لا ترهب استبداد المجتمع ، لذلك يقول : " ومن هنا كان لابدّ من العثور على امرأة من هذا الشرق ، تمتلك القدرة على الصراخ ، وتمتلك الجرأة على التحدث عن نفسها وعن جسدها دون أن تلطخها عقدة الذنب وتذبحها فؤوس العشيرة ..." [1]، ولعلنا نعثر على هذه المرأة في قصيدة " الحب والبترول " في تلك المرأة من نساء الطبقة الوسطى التي ثارت على هارون الرشيد النفطي قائلة : [2]

مَتَى تَفهَمْ ؟
مَتى يَا سَيِّدِي تَفهَم ؟
بِأَنِّي لَسْتُ وَاحِدَةً كَغَيرِي من صَدِيقَاتِكْ ؟
ولَا فَتْحًا نِسائِيًا يُضافُ إِلَى فُتُوحَاتِكْ
ولَا رَقْمًا مِن الأَرقَامِ يَعْبُر فِي سِجِلاَّتِكْ
متَى تَفهَمْ ؟

تثور هذه المرأة على هارون الرشيد النفطي ، الذي ما هو إلاّ رمز لكلّ حاكم عربي متسلط ، منغمس في ملذّاته ، والذي لا يرى في المرأة سوى أداة يتسلى بها متماديا في فعلته حتى صار تكديس الزوجات هواية لديه ، فأرادت هذه المرأة أن تعيد الاعتبار للنساء ، محاولة إنقاذهن من تسلّط الرجل الذي لا يرى فيهن سوى فريسة يصطادها يلهو بها قليلا ثمّ يرميها.

---

[1] نزار قباني : الأعمال النثرية الكاملة ، ج7 ، ص346 .
[2] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص445 .

آخر القول ندرك جيدا أن نزار قباني كان شاعرا منح المرأة معظم شعره وأكثر فضائه ، وصفها وتغزّل بها جسديا ومعنويا ، ولم يترك موقعا من جسدها ولا ومضة للعمر تمرّ دون تسجيل لحظة سعادة وهناء ، لكنّ السؤال الذي يظلّ مطروحا ؛ هل امرأة نزار هي امرأة واقعية حقا ، أم هي من صنع الشاعر ونسج مخيلته فحسب ؟ .

على الأرجح أنّ امرأة نزار قصيدة ، صحيح أنّه استوحى ملامحها من الواقع ، لكنّها تظلّ وهما وخيالا ولا يمكنها أبدا أن تصير واقعا ، وهنا تبرز مشكلة الصراع بين المرأة و القصيدة ، لأنّه حين تصبح المرأة واقعا في حياته ينمحي وجود الشعر أو القصيدة ، فأيّهما يختار ؟ .

2- المرأة والقصيدة :

لاحظ عدد من الدارسين ظاهرة التداخل بين المرأة و القصيدة في شعر نزار قباني ، فمنذ أول ديوان له حتى آخر ديوان ، وهو مرة يميل إلى المرأة إلى الحد الذي يصنف فيه بأنه شاعر الحب و الغزل ، و مرة يميل إلى الشعر بحيث يفضل القصيدة على المرأة حين تضعه الظروف في موقف الاختيار ، ويرى شكري محمد عياد أن نزار قباني قد هيأ لنا مدخلا جيدا حين ربط بين المرأة و القصيدة ، إذ أنه قد هيأ لنا بذلك الطريق التي ينبغي أن نسلكها للوصول إلى عالم نصوصه ، و أعطانا بنفسه مفتاح العلاقة بين جانبي الأصل الشعوري والشكل الفني الذين يكونان معا وحدة التجربة الشعرية ، مؤكدا أن هناك صراعا في داخل التجربة الشعرية بين المرأة و الشعر [1].

إن الصراع بين المرأة و القصيدة ظاهرة بارزة في شعر نزار ، فقد كان دائما يتصارع في داخله الرجل و الشاعر ، و على ضوء هذا الصراع الطويل ظلّ يتساءل عن أصل المرأة و القصيدة ؟ و ظلّ هذا السؤال يلاحقه دون أن يجد له جوابا ، يقول :[2]

هَلِ المَرأَة أَصلُهَا قَصِيدَهْ؟
أمِ القَصِيدَةُ أَصلُهَا امرَأَة ؟
سُؤَالٌ كَبِيرٌ ما زَالَ يُلَاحِقُنِي
مُنذُ أن احْتَرفتُ حبَّ المرأةِ وحُبَّ الشِعر

---

[1] ينظر: شكري محمد عيّاد : نزار قباني ولعبة الحرف ، دراسة ضمن : نزار قباني شاعر لكلّ الأجيال ، ج1 ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، 1998 ، ص309 - 313 .

[2] محفوظ كحوال : أروع قصائد نزار قباني في الحبّ والوطن والسياسة ، ص248 .

يؤكد الشاعر هذه الحقيقة، حقيقة اندماج المرأة و القصيدة و الصراع بينهما في كثير من قصائده، فالقصيدة عنده إناء يملؤه بجمال المرأة و جمال المرأة لوحة يرسمها بالكلمات ، وقد نتج عن هذا الصراع بين المرأة و القصيدة ثلاثة مواقف : يتمثل الموقف الأول في أن القصيدة أجمل من المرأة و أهم منها ، ويتمثل الموقف الثاني في أن المرأة أجمل من القصيدة ، أما الموقف الثالث فيجعل فيه الشاعر كلا من المرأة و القصيدة في مرتبة واحدة .

أ- الموقف الأول : القصيدة أجمل من المرأة و أهم منها :

إن القصيدة لا تفقد نضارتها ، إنها دائمة الجمال و الشباب لا يفعل بها الزمن شيئا كما يفعل بالمرأة ، و لعل ذلك ما جعل الشاعر يذكّر المرأة في بعض قصائده بمصير جسدها أو يهجو ذلك الجسد حين يصير مهترئا .

لقد ظل الشاعر يحاورها و تحاوره و ينتهي أحيانا إلى أنها ليست سيدة جسدها ، و ليست سيدة مصيرها فالزمن هو سيدها ، و من ثم كان لا بد أن يتوجه إلى من هي سيدة نفسها (القصيدة) ، تلك المرأة التي لا خوف عليها من الزمن ، فالقصيدة جسد ومعنى في مقابل الجسد و النفس ، جسد معنوي يتماهى و يحاكي جسدا ماديا و يتوحد معه أحيانا ، ثم يدخل معه في صراع أحيانا أخرى ليفرض نفسه بديلا ، وهي ذلك التصور الذهني الذي تضعه قيود اللغة وتشكله بقالبها الخاص ، فهي أنثى جمعت عناصر الأنوثة كلّها ، ولكنها في الوقت ذاته ليست أنثى بمعناها المحدود [1]، ومن ثمّ لا وجود للمرأة إلاّ في رحم القصيدة ، وهي بدونها لا يمكن أن تكون لها أية قيمة جمالية ، يقول :[2]

سَأقولُ لكِ "أُحبكِ"
عِندَمَا تَسقُطُ الحدُودُ نِهائيًا بَينكِ وبينَ القَصِيدَهْ
(...)
فَأنَا لاَ أَستَطيعُ أن أُحِبَّ امرأةً ..
خَارِجَ إِيقَاعَاتِ الشِعر ..

أعطى نزار قباني لجسد القصيدة بعدا أنثويا ، وفضّلها أحيانا كثيرة على المرأة حتّى جعل في بعض المرات حبّه لها مشروطا بسقوط الحدود بينها وبين القصيدة .

---

[1] ينظر: أحمد حيدوش : شعرية المرأة وأنوثة القصيدة : قراءة في شعر نزار قباني ، ص181 ، 182 .
[2] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص142 .

ويقول في قصيدة أخرى : [1]

بِلاَ لُغتِي ..

أَنتِ إشَاعَةُ امرأةٍ ..

قُصاصةُ امرأةٍ ..

مَشرُوعُ امرأةٍ ..

رَسْمُ تَجريديُ لمْ يَستَوعِبهُ أَحَدْ ..

إنّ المرأة التي يحبها نزار ويتغنّى بها دائما هي تلك التي نجدها داخل رحم قصائده، وبدونها وخارج إيقاعات الشعر تصبح هذه المرأة مجرد إشاعة ، ورسم تجريدي تافه خال من الجمالية لا يستوعبه أحد . وفي مرات أخرى يرى الشاعر جمال المرأة فيفتن به و يعترف بأنه يحبّها لكنه في الوقت ذاته يحذرها من الجلوس مكان القصيدة حتى لا تدفعه إلى الاختيار بينهما لأنّه سيختار القصيدة بلا تردد ، ذلك أنّ المرأة عنده لا وجود لها خارج الشعر ، وهو ما يؤكده في قوله : [2]

لأَنَّ القَصِيدَةَ أَجملُ سيِّدَةٍ فِي حَياتِي

فَهلْ بَعدَ نَشرِ اعتِرافِي

تُسَامحُنِي السَيدات ؟؟

إنّ الصراع بين المرأة والقصيدة رافق مسيرة الشاعر الشعرية ، ولكن يبدو أنه قد حسم الأمر لصالح القصيدة حين نشر اعترافه الذي قال فيه بأنّ القصيدة هي أجمل سيدة في حياته ، ذلك أنّ نساء نزار في قصائده مخلوقات أبدعتها مخيلته ، نساء لا وجود لهن في الواقع ، و لا وجود لهن في حياته إلا لحظة فكر فيهن و أبدعهن فأحبهن و عاشرهن و نقل لنا حواراته معهن ثم تلاشين بمجرد أن انتهى من نظم القصيدة ، فهن مجرد موضوع لتشكيل القصيدة .

ب- الموقف الثاني : المرأة أجمل من القصيدة :

نشر نزار قباني اعترافا آخر مناقضا للاعتراف الأول ، وبالحدة نفسها جعل كلّ كتابة أنثى ، وأنّ المرأة وحدها هي المسؤولة عن كل قصيدة كتبها ومزروعة فيها ، فهي التي تتمدد على الورقة البيضاء، وهي التي تنام فوق كتبه وترتب أوراقه ودفاتره ، وتضبط حروفه وتصحح أخطاءه ...الخ ، وهي قد تصير

---

[1] محفوظ كحوال : أروع قصائد نزار قباني في الحبّ والوطن والسياسة ، ص156 .

[2] المصدر نفسه ، ص 187 .

في لحظة من اللحظات أجمل من كل الكتب التي كتبها ، وبعد أن كانت القصيدة أجمل سيدة في حياته صارت المرأة أجمل من كلّ الكلمات ، يقول :[1]

لَكِنَّكِ .. يَا قَمرِي الأَخضرْ
أَحلَى مِن كُلِّ الكَلِمَات
أَكبُر من كُلِّ الكَلِمَات

وأما في قصيدة " أحبّك " فتبدو المرأة صانعة القصيدة ، وبعينيها تختبئ أجمل قصائد الشاعر :[2]

بِعَيْنَيكِ ..قَد خَبَأْتُ أَحلَى قَصَائِدِي
إِذَا كَانَ لِي فَضْلُ الغِنَا ..فَلكِ الفَضلُ

في هذا المقطع ربط الشاعر وجود الشِعر بجمال عيني المرأة ، فلولاهما لما استطاع أن يكتب شيئا، وفي قصيدة أخرى يؤكد انتصار المرأة على القصيدة لأنها ببساطة أجمل نصوصه على الإطلاق :[3]

أَنتِ النَصُ الأَجمَلُ بَينَ نُصُوصِي
أَنتِ الجَسَدُ الرَاوِي شَعْرًا ..

رأى الشاعر في المرأة النصّ الأجمل بين كل النصوص ، وجعل من وجودها شرطا لوجود الشعر ، فكأنّها الأصل والشعر فرع .

ج- الموقف الثالث : المرأة تساوي القصيدة :

إنّ القصيدة بوصفها جسدا جميلا لها زينتها التي تصنع جمالها، متمثلة في الوسائل البلاغية من استعارة ومجاز وتشبيه وكناية ، وسوى ذلك أي كل ما يسهم في رسم تلك الصورة الجميلة من الكلمات، والمرأة بوصفها جسدا شأنها شأن القصيدة لها وسائلها التي تكسبها جمالها ، من ملابس وحلي وعطور ...الخ ، مما يجعل من السهل إضفاء صفات الأولى على الثانية ، وصفات الثانية على الأولى ، بل اندماجهما في كيان واحد يكوّن جسدا واحدا [4] .

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص374 .
[2] المصدر نفسه ، ص61 .
[3] محفوظ كحوال : أروع قصائد نزار قباني في الحبّ والوطن والسياسة ، ص31 .
[4] ينظر: أحمد حيدوش : شعرية المرأة وأنوثة القصيدة : قراءة في شعر نزار قباني ، ص183 .

المرأة إذن قصيدة والقصيدة امرأة فهما ثنائية متلازمة لا يمكن أن تحضر إحداهما دون أن تحضر الأخرى "فالمرأة هي الشعر ... ، وليست ملحقة به أو مضافة إليه أو هامشا من هوامشه " [1]، وفي هذا المقام يقول الشاعر : [2]

يَا مَنْ تَخِيطُ قَصَائِدِي ثَوبًا لَهَا
هَلْ مُمْكِنٌ بَينَ القَصِيدَةِ ..والقَصِيدَةِ..
أَنْ أَرَاكِ ؟؟..

يجسّد هذا الموقف ذلك التداخل الرهيب بين المرأة والقصيدة ، بحيث غدت القصيدة لباسا ترتديه المرأة وثوبا قد خيط لأجلها ، في حين أنّ الشاعر لا يستطيع رؤيتها خارج القصيدة فهو يبحث عنها في داخلها و يحاول أن يلمحها بين الكلمات .

وعلى الرغم من التأكيدات السابقة التي تُظهر وكأنّ الصراع النفسي بين المرأة والقصيدة قد حسم لأحد الطرفين ، إلاّ أنّ الشك ظلّ يراود الشاعر عن أصل كلٍّ منهما ، فظلّ يبحث عن أيهما كانت في البدء؛ أنوثة المرأة أم أنوثة الكلمات؟ ، حيث يقول مخاطبا المرأة :[3]

هَلْ كُنتِ قبلَ قَصَائِدِي مَوجُودَه
أَمْ أَنَّنِي بِشِعْرِي أَوجَدتُ النِسَاءْ ؟

إنّ المواقف الثلاثة المشار إليها سابقا، رافقت مسيرة نزار قباني الشعرية ، دون أن يتغلّب موقف على آخر، ولكن مع ذلك تبقى أفضلية القصيدة على المرأة عنده ،ذلك أنّ المرأة بوصفها موضوعا شعريا يتوالد من اللغة وباللغة ، يصنعه الخيال ويلونه بألوانه وليس صورة محددة المعالم ، وجَسَدها مجموعة صور ولوحات يحركها الشاعر حسب هواه ، فشكّل منها تارة جنية وحلما وبيتا ، وتارة أخرى شكّل منها وطنا طالما بحث عنه ، فخرجت عن كونها مجرد قصيدة جميلة إلى دلالات متنوعة أبرزها الوطن والأرض والحرية والثورة .

---

[1] نزار قباني : الأعمال النثرية الكاملة ، ج7 ، ص599 .
[2] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج4 ، ص94 .
[3] المصدر نفسه ، ص365 .

II- صورة الوطن في شعر نزار قباني :

عُرف نزار قباني بين الناس شاعرا مدّاحا للنساء ، وانتشر شاهدا على مشاوير اللقاء والوداع ، وكتب في مختلف حالات العشق ، وامتشق القلم سلاحا فتاكا يذود به عن الوطن والعروبة ، فأحبّه الناس شاعرا ، وإنسانا ، وفنانا ، حتى تبوأ صفة "شاعر الشعب" بلا منازع .

إنّ انشغال نزار بالمرأة لم يلهه عن القضايا الاجتماعية والسياسية التي يواجهها العالم العربي ، فبعدما عرف الناس نزار العاشق والثائر على نظام القبيلة وسلطة الموروث ، ظهر أمامهم في حلة جديدة إنّه نزار الغاضب على الزمن العربي ، الذي كسر تلك الصفحات الدنجوانية البلهاء التي التصقت به وأكّد للملأ أنّ الشاعر حالة والحالة متغيرة، حيث تعامل بهذا المنطق مع محيطه فأدرك واقعه بعين النقد ، إلى أن أصبح في واقعيته صداميا ، والتزامه جماليا يشع بالإضاءات الفكرية ، وأضحى يؤرخ بصدق لكلّ نكبة تفقد الواقع المعيش توازنه ، وفرض نفسه على الحكام لا ليحكم ولكن ليقاسم السلطة ، وظلّ ينتفض ويثور مع كلّ فاجعة تستحق الثورة [1] ،فمثّل بذلك صوت الشعب وسوطه أيضا ، لأنّه حين ينتقد المجتمع العربي ويعرّيه فإنّه لا يهدف للكشف عن عورته ومساوئه ، وإنّما لكي يحثّه على النهوض ، فكان شعره حوارا فنيا صنع الوجدان الشعبي ورفع درجة الوعي الوطني عموما .

إنّ حبّ الشاعر للوطن وغيرته عليه جعلت مشاعر الحبّ تتلاشى وجبروت الغضب يزداد ، فتحولت قصائده الوطنية والسياسية إلى ألغام متفجرة ، يرمي بها من قلبه الغاضب في سماء الأمة العربية لعلّها تستيقظ من غفلتها .

إنّ هذا الانعطاف الفعلي في مسيرة الشاعر قد حدث كما يشير الدارسون على إثر هزيمة حزيران 1967 ، حيث كانت ثمرتها " هوامش على دفتر النكسة " ، التي كانت العتبة لتَفَجُّر شعره السياسي والوطنيّ ، والذي تناول فيه مختلف القضايا التي تهم الواقع العربي قبل هزيمة حزيران وبعدها ، وظلّ يتفاعل مع أحداث الوطن العربي صغيرة وكبيرة ، فسجل عددا لا يستهان به من القصائد السياسية والوطنية .

---

[1] ينظر : حبيب بوهرر : تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، ص2 .

1- مفهوم الوطن عند نزار قباني :

عند الحديث عن الوطن ، فإنّ أول ما يتبادر إلى الذهن ذلك المفهوم البسيط الذي يجعل من الوطن مساحة جغرافية محددة ، تسكنها جماعة من الناس تربطهم مجموعة من العلاقات الإنسانية، والاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية ، وتحكمهم جملة من القوانين والنظم .

أما الوطن عند نزار قباني فيتجاوز هذه النظرة الضيقة لأنّه في نظره أكبر من أن يكون مجرد موقع جغرافي على الخريطة ، بل هو ذلك الوطن الذي يسكن كلّ جزء من قلوبنا وأرواحنا ، إنّه يبحث عن الوطن النفسي ، لذلك نجده يحاول إخراجه من هذه الزجاجة الضيقة التي وضع فيها ، لينطلق به إلى عالم فسيح ، فيراه في ملايين الأشياء ، ويعطيه مفهوما واسعا ، حيث يقول : " إنّ مفهومي للوطن والوطنية مفهوم تركيبي ، وبانورامي ، وصورة الوطن عندي تتألف كالبناء السيمفوني من ملايين الأشياء ابتداءً من حبّة المطر إلى ورقة الشجر ، إلى رغيف الخبز ، إلى مزراب الماء ، إلى مكاتيب الحبّ ، إلى رائحة الكتب ..."[1] ، فالوطن عنده مسرح بشري كبير تمتزج فيه ملايين الأشياء .

من هذه الزاوية الواسعة رأى الشاعر الوطن وأحبّه ، فاحتل بذلك دورا مركزيا في شعره ، ومحورا مهيمنا لا يقلّ شأنا عن المرأة ، واتخذ لنفسه صورا شتّى تتماهى مع مدن العالم ، متجاوزا المساحة الجغرافية المجردة للأماكن ، إلى صور مثالية وإنسانية ارتبطت وجدانيا بالشاعر الذي جعل منها دافعا للحركة والحياة ، وجزءا لا يتجزأ من التجربة الحياتية التي يعيشها ، وأدمجه في قصائده لينصهر ويتحول إلى خلق جديد يحمل صفاتا جديدة .

والوطن حاضر في بواكير تجربة الشاعر ، فهاهو يطير بنا في أجواء وطنه يكتسب الجمال من جمال طبيعته ، ويبقى الوطن هاجسه في قصيدة " ورقة إلى القارئ " ، يقول : [2]

أنَا لِبِلاَدِي .. لِنَجْمَاتِهَا
لِغَيْمَاتِهَا .. للشَذَى .. للنَدَى
سَفَحتُ قَوَارِيرَ لَونِي نُهُورًا
عَلَى وطَنِي الأَخْضَرِ المُفتَدَى

---

[1] نزار قباني : الأعمال النثرية الكاملة ، ج7 ، ص371 .

[2] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص16 .

لقد تغزّل الشاعر في وطنه مثلما تغزّل بالمرأة ، وأعطاه مساحة واسعة من خطابه الشعري ، وجعل منه ومن قضاياه المختلفة موضوعات شعرية غنية بالمعاني وزاخرة بالكثير من الصور ،" فالوطن مرسوم في كلّ فاصلة ، وفي كلّ رشة حبر يتركها أديب على الورق " [1] ، ومن هنا سمح نزار لنفسه بأن يقول بصوت عال أنّ شعره كلّه ابتداءً من أول فاصلة حتّى آخر نقطة فيه ، وبصرف النظر عن المواد الأولية التي تشكّله ، والبشر الذين يسكنونه من رجال ونساء ، والتجربة التي تضيئه سواء كانت تجربة عاطفية أو سياسية ، هو شعر وطني .

من هذا المسرح البشري الكبير تنبثق الوطنية عند الشاعر ، فالوطن في نظره يعني الحياة والحبّ والبقاء ، ولهذا نجده منذ طفولته يحاول تصوُّر شكل الوطن : [2]

أُحَاولُ مُنذُ الطُفُولَةِ
أن أَتَصَوَّرَ شكلَ الوَطنْ
رَسمتُ بُيوتًا ،
رَسمتُ سُقوفًا
رَسمتُ وُجوهًا
رَسمتُ مَآذنَ مَطليةً بِالذَهَبْ

من هذا المنطلق راح نزار يرسم بالشعر شكلا للوطن ، ويحرك سواكنه ويتفاعل مع أحداثه ، فصوره بالكثير من الصور ، ورسمه تارة بيوتا وسقوفا ومآذنا ، وتارة أخرى رسمه قمحا ونخيلا وأنجما ويماما، حيث يقول في قصيدة أخرى : [3]

وَطَنٌ وَاحــدٌ ..رَسمناهُ قمحًــا
ونَخِيــلاً ، وأَنجُمَاً ويَمَــامَــا

لقد اختلفت صورة الوطن عند الشاعر وتباينت من قصيدة إلى أخرى ، لكن حبّ الشاعر له ظلّ واحدا ، وظلّت تهزه أفراحه وتبكيه مصائبه ، فلخص شعره عصرا بكامله عاشته أمتنا العربية عبر إشراقاته وانهياراته .

---

[1] نزار قباني : الأعمال النثرية الكاملة ، ج7 ، ص 413 .
[2] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ،ج6 ، ط2 ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ص343 .
[3] نزار قباني : المصدر نفسه ، ج3 ، ص510 .

2- أهم القضايا الوطنية في شعر نزار قباني :

إنّ حديث نزار قباني عن الوطن العربي هو حديث عن مشاكله وقضاياه ، وهو حديث عن المواطنين الذين يسكنون ذلك الوطن ، لذلك نجده يصور لنا الواقع العربي وما يعانيه من أزمات وويلات في شتى مجالات الحياة ، فتعرض للكثير من المواضيع الكبرى والحساسة ، والتي تهم المواطن العربي بالدرجة الأولى ، من ذلك قضية الحرية والديمقراطية وتسلط أصحاب النفوذ والسلطة وكبت الحريات والتخلف وانعدام الوعي والتمزق العربي ...الخ .

أشهر الشاعر قلمه وشدّ أوتاره يغني للشعوب الطامحة إلى الوحدة والحرية فكان الزعيم المناضل من أجلها ، وتحولت أنغامه إلى سياط تجلد المتخلفين والخائنين ، وامتنع عن كلّ ممارسات الحبّ السابقة، وبهذا خرج عن النطاق الضيق الذي وضعه فيه النقاد بوصفه شاعر المرأة ، إلى نطاق واسع بوصفه مجاهدا بالقلم ، فرسم بذلك صورا لهذا الواقع المتدهور ، وأبرز صور القمع المسلط على المواطنين، وسلّط الضوء على مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في العالم العربي ، وسنتطرق باختصار لأبرز هذه القضايا فيما يلي :

- هزيمة الفكر والتخلف وانعدام الوعي :

ضاق نزار ذرعا من هذا الواقع العربي المتدني ، فراح يجلد الذات العربية ويسلط الأضواء على المواقع المظلمة في حياتنا ، ويسخر من أولئك الذين يبكون على الماضي ويتحسرون على أمجاد الأجداد، واعتبر أنّ سبب هزيمة العرب سنة 1967 هو العرب أنفسهم ، فهزيمتهم لم تكن عسكرية بقدر ما كانت فكرية أولا ، وسياسية ثانيا ، ونتيجة لذلك كانت الهزيمة العسكرية : [1]

إذَا خَسِرْنَا الحَرْبَ .. لاَ غَرَابَه
لأَنَّنَا نَدْخُلُهَا
بِكُلُّ ما يَملكهُ الشَرقيُ من مَواهبِ الخَطابَهْ
بالعَنتَرِيَاتِ التِي مَا قَتلَتْ ذُبَابَهْ
لأَنَّنَا نَدْخُلُهَا ..
بِمَنطِقِ الطَبْلةِ والرَبَابَهْ ..

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص75 .

في هذه السطور الشعرية وضع الشاعر إصبعه على الداء الذي نخر الوضع العربي في ذلك الوقت، فقد أشار إلى الخطب الحماسية التي كانت تذاع ، والتي من منطلقها دخل العربي الحرب وما بحوزته إلاّ مجموعة من الأبيات والخطب ، فجاءت بذلك الهزيمة نتيجة حتمية .

كما جعل من التخلّف سببا لكلّ المآسي التي يعيشها المواطن العربي ، فنحن عندما دخلنا عصر الحضارة ، دخلناه بروح جاهلية مليئة بكلّ عوامل النقص والتخلف الفكري : [1]

خُلاَصَةُ القَضِيَّهْ

تُوجَزُ فِي عِبَارَهْ

لَقَدْ لَبِسْنَا قِشْرَةَ الحَضَارَهْ

والروحُ جَاهليَهْ

يعلن نزار–في هذا المقطع– الثورة على كلّ ما هو راكد في المجتمع العربي ، من عادات سيئة وتقاليد عتيقة تعرقل مسيرة نمو الحياة الحضارية والفكرية ، وتجعل من الإنسان العربي شخصا يحيا بروح التواكل والسذاجة مما يسيء إلى روح الدين وصفائه ، فعوضا عن التفتح على الآخر لاكتساب المعارف الحديثة ، كان المثقف العربي يبحث عن الكلمات الموغلة في القدم .

هكذا أرسل الشاعر صيحته في وجه الجماهير العربية وزعمائها منتقدا ومعنفا لأنه أدرك أنّ المهزوم لا يصنع انتصار ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، كما أدرك أنّ الجيل الحالي فقد كلّ مقومات الصلاحية ، فأهال عليه التراب وأحاله على التقاعد [2] ، واتجه بأمله وحلمه إلى جيل جديد .

– الوحدة العربية :

كان نزار قباني وحدويا يضع الوحدة العربية الكبرى نصب عينيه ، ويرى فيها ضرورة حتمية ، والحلّ الأمثل لأزمة العرب ، ومن أجل ذلك حارب كلّ دعاة الطائفية والانفصال ، وتقسيم الوطن إلى لقم صغيرة يسهل على العدو التهامها ، فالوحدة العربية هي السبيل الوحيد لاستعادة الكرامة والقوة والمجد والانتصار ، وبالتالي فإنّ إنكارها هو سبب كل الهزائم ومنها هزيمة حزيران 1967 :[3]

لَو أَنَّنَا لَمْ نَدْفِنِ الوِحْدَةَ في التُرابْ

---

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص77 .

[2] ينظر: أحمد تاج الدين : نزار قباني والشعر السياسي ، ط1 ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، 2001 ، ص 44 .

[3] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص94 .

لَو لَم نُمَزِّق جِسمَهَا الطَرِيَّ بِالحِرَابْ
لَو بَقِيتْ فِي دَاخِلِ العُيونِ والأَهدَابْ
لَمَا اسْتَبَاحَتْ لحْمَنَا الكِلَابْ ..

هذه الوحدة العربية طالما بحث عنها الشاعر ، لكنّه لم يكن يرى سوى وطن صغير مشتت وممزق: [1]

مَابَينَ كُلِّ امرأةٍ وطِفلهَا ..
قَامتْ بَلدْ ..
يَا خَالقِي : يَا رَاسِمَ الأُفْقِ ، ويَا مُهَندِسَ السَمَاءْ
هلْ ذَلِكَ الثُقبُ الذِي لَيسَ يُرَى
هُو البَلدْ ؟؟؟

هكذا حول التقسيم الوطن الواحد إلى أوطان وجعل منها كيانات صغيرة وشرائح هزيلة يطلق عليها تجاوزا لفظ وطن ، فلقد أصبح هذا الوطن من ضآلته ليس يرى كأنّه ثقب ، وطن هزيل هش لا يستحق حتى اسم " الوطن " .

لكن رغم كلّ هذا و رغم الآلام والمآسي ، وقاموس الهزائم والانكسارات والتمزّقات العربية ، ظلّ الشاعر مؤمنا لآخر لحظة في عمره بأنّ الوحدة العربية آتية لا محالة ، وأنّ الحلم القومي —وإن كان مجرد حلم– فإنّ الأحلام يمكن أن تتحقق ، فظلّت قصائده الوطنية والسياسية حلما قوميا عربيا لتحقيق وحدة عربية كبرى ، واستعادة الكرامة والمجد المسلوب .

– القضية الفلسطينية :

جنّد نزار نفسه لأداء واجبه الوطني ، ففي القضية الفلسطينية التي خطفت الأضواء على الساحة العربية والدولية حجز لنفسه مقعدا في الصفوف الأولى ، مؤيدا وصارخا في وجه العدو الصهيوني الذي سرق الهوية العربية ، كما هاجم العرب وأدانهم وحمّلهم مسؤولية ما جرى لفلسطين ، وانتقد هرولتهم ولهثهم وراء فتات الموائد السياسية لتوقيع الاتفاقيات السلمية ، مستخدما ألفاظا موجعة بالغة الحد ، يقول في قصيدة " المهولون " :[2]

لَيسَ صُلحًا..

---

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص97 .

[2] أحمد تاج الدين : نزار قباني والشعر السياسي ، ص69 .

ذَلِكَ الصُلحُ الذِي أُدخِل كالخِنجرِ
فِينَا ..
إِنَّهُ فِعْلُ اغتِصَابْ !!
مَا تُفِيدُ الهَروَلَهْ ؟
ما تُفيدُ الهَرولَهْ ؟
عِندَمَا يَبقَى ضَميرُ الشَعبِ حيًا
كَفَتِيلِ القُنْبُلَهْ
لَن تُسَاوي كُلُّ تَوقِيعَاتِ أُوسْلُو
خَردَلَهْ !!

تجاوز الشاعر في هذه القصيدة تلك الدلالة الهامشية التي تدل عليها لفظة " المهرولون " (السير بسرعة)، لتصبح إشارة أو مؤشرا دالا على حالة العرب من تخاذل واضطراب ، فمشوار المهرول موسوم بالخيبة والشك ، والسير نحو المجهول دون تحديد الوجهة المقصودة ، ومن هنا انطلقت القصيدة تفجّر معانيها وترسم لنا صورة أولئك العرب في إنسان مجهد خائف من الرحلة وما ستسفر عنه من هزائم وانكسارات جديدة ، وبالفعل كانت اتفاقية " أوسلو" رحلة هزيمة جديدة ، اعتبرها الشاعر بمثابة فعل اغتصاب ، لم يقل سرقة أو نهبا لأنّها جرائم وأوجاع قد تهون عند العربي ، إلاّ كلمة" اغتصاب " لأنّها تمسّ الشرف والعرض ، وهو أغلى ما يملكه الإنسان العربي ، والشاعر يريد من وراء ذلك إيقاظ الضمائر العربية من غفلتها، فما عادت مفاوضات السلام تجدي مع إسرائيل ، لأنها منذ وجدت تخون العهود وترمي بالاتفاقيات في سلّة المهملات ، والعرب وحدهم من يحفظون هذه الوعود ، ويتوهمون بالسلام معها ، حيث يقول في قصيدة " طريق واحد " مخاطبا الثوار في فلسطين : [1]

تَقَدَّمُوا ..
فَقصِّةُ السَلاَمِ مَسْرَحِيَهْ ..
والعَدْلُ مَسرحَيهْ ..
إِلَى فِلَسطينَ طَرِيقٌ وَاحِدْ
يَمرُّ مِن فَوهَةِ بُنْدِقِيَهْ ..

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص330 .

هكذا بيّن الشاعر أنّ الطريق الوحيد لتحرير فلسطين هو فوهة البندقية ، لأنّ ما أخذ بالقوة لا يسترد إلاّ بالقوة ، فكان بذلك الكفاح المسلّح عقيدة الشاعر التي لا يحيد عنها .

– الحرية والثورة :

شغلت قضية الحرية مساحة واسعة وساطعة في شعر نزار قباني ، وذلك لأهميتها وقيمتها الكبيرة في المجتمع، واستحقت أن تحتل الصدارة وتأخذ الأولوية قبل أيّ قضية أخرى من قضايا الإنسان العربي ، فهي أصل الأصول جميعا ، وعنها تنبثق مختلف القضايا الأخرى وتتفرع منها.

لقد عشق الشاعر الحرية وكرّس حياته متغنيا بها ، يريدها للشعوب العربية التي حرمت منها رغم تضحياتها الكبيرة ، يقول :[1]

لَكِنَّمَا مُشكِلَتِي
لَيسَتْ مَعَ الخُبزِ الذِي آكُلُهْ
ولَا مَعَ المَاءِ الذِي أَشرَبُهْ
مُشكِلَتِي الأُولَى هِي الحُرِيَّهْ

يتكئ الشاعر هنا على الحرية والمعنى المفقود كمشكلة أساسية يعاني منها الإنسان العربي ، فليست مشكلة الشعب الخبز والماء ، وإنما تتعداها إلى أبعد من ذلك ، لهذا نادى الشاعر بالحرية واتخذها مبدأ ودينا وعقيدة ، فدعا إلى حرية الوطن والتحرر من كلّ القيود التي تفرض عليه ، وعمل على ترسيخها في كلّ الأرض العربية ، فتبلورت في ثورته الشعرية واتخذت لنفسها الكثير من الصور ، وهي في بعض اللحظات قد تصبح امرأة جميلة ، بل أجمل امرأة بين كلّ نساء العالم ، يقول الشاعر: [2]

كَانَ هُنَاكَ .. أَلْفُ امرأةٍ في تَارِيخِي
إلَّا أَنِّي لَمْ أَتَزَوَجْ بَينَ نِسَاءِ العَالَمِ
إلَّا الحُرِيَهْ ..

إنّ قضية الحرية أصبحت هما قوميا في المنطقة العربية كما أصبحت تستنزف جزءا هاما من شعر نزار الذي ظلّ يحرض على الثورة ويبارك النضال ويشدّ على أيدي المقاومين ، ويبشر بالغد الذي سوف تتحرر فيه الأرض العربية وينعتق الإنسان من القهر والعبودية .

---

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص202 .

[2] المصدر نفسه ، ص152 .

تعدّ المرأة في شعر نزار قباني موضوعا شائكا معقدا لا تربط بين أطرافه روابط، ولا تضبطه ضوابط، وهو شبكة من العلاقات الغامضة التي تفتح المجال واسعا لاحتمالات وتأويلات شتّى.

لقد شكّلت المرأة عالما قائما بذاته لا تحدّه حدود معينة ، تتداخل أبعاده وتمتزج ألوانه وتتشعب دلالاته ، فهي واحدة ومتعددة ، غائبة وحاضرة ، كائن يعيش في الواقع ومثال وسراب وطيف مسكنه الخيال ، ملهمة الشاعر وصانعة قصائده ، ولكنّها لاشيء بدون قصائده ، يختزل جسدها عناصر الطبيعة جميعها ، وهي سر وجود هذا الكون وكلّ شيء فيه ، فهي القصيدة والبيت والحبيبة والوطن وجواز السفر وبطاقة الهوية .

أمضى أكثر من خمسين سنة في صحبتها ، يمدحها تارة و يهجوها تارة أخرى ، وفي كلّ ما كتبه من شعر كان دائما يبحث عنها ، يكتب عنها طورا ويستعير لسانها طورا آخر، حتّى ارتبط اسمه بها ، وكانت العلاقة الظاهرة والشائعة لدى عموم القرّاء هي غزلية بالأساس ، والحقيقة أنّ هذا صحيح لحدّ ما لكن هذا لا ينفي أنّ الوطن كان بالنسبة للشاعر الصوت والصدى ، فحين نادى الواجب كانت قصائده الوطنية أكثر عاطفة وأعمق رؤية وأنبل مقصدا ، وزاحمت بذلك قصائده الغزلية لتحتل الصدارة في كثير من الأحيان ، وانطلق الشاعر يشكل من الكلمات سلاحا يذود به عن الوطن العربي ، فكان الناطق الرسمي باسم ملايين من المواطنين الذين لم يجدوا فسحة للتعبير عن همومهم ومشاكلهم ، ونادى بالحرية والمساواة ، كما دعا إلى دولة عربية موحدة ، فكانت قصائده الوطنية والسياسية الانطلاقة السريعة لمد وطني تحرري وحدوي ، ولكن هل يعني اتجاه الشاعر للوطن أنّه هجر محراب المرأة ووجّه وجهته نحو الوطن فقط ؟.

الفصل الثاني: ثنائية المرأة والوطن في شعر نزار قباني :

1 – جدلية المرأة والوطن

2 – المرأة الوطن

3 – الوطن المرأة

تمهيد :

حظيت المرأة في شعر نزار قباني باهتمام كبير منذ بدايات الشاعر الأولى ،حيث عبّر عنها واقترب من تفاصيلها ولغتها اليومية ، فكانت الموضوع الرئيس و الملهمة الأولى لشعره ، استمدّ منها ومن جمالها أروع الصور والتعابير ، وساهمت بشكل ملفت للانتباه في تشكيل ملامح القصيدة لديه في المرحلة الأولى من مسيرته الشعرية .

وفي مرحلة ثانية وبعد حرب حزيران ، حوّل الشاعر وجهته نحو الوطن ، فواكب الواقع العربيّ بشعره، وعبّر عن آلام الإنسان العربيّ وآماله في الحرية والكرامة ، مستخدما في ذلك أسلوب الهجاء السياسيّ ، لأنّه في نظره الحلّ الوحيد لتكوين جيل يواجه الهزيمة ، ويعيد النصر المسلوب ، ولكنّ هذا التحول للحديث عن الوطن العربيّ لم يمنع الشاعر مطلقا من الحديث عن المرأة ، التي ظلّت تشاركه الهمّ الوطنيّ والقومي ، وصارت موقفا من مواقف رحلته الطويلة ، وأرضية صلبة يرتكز عليها ليحقق غايته وغاية الشعر ، فساهمت بذلك في تنمية الدلالة الشعرية في الحسّ الوطنيّ الذي ترجمه الشاعر بأسلوبه الخاص ، وصار يمزج بينها وبين الوطن ، حتّى أضحى هذا التمازج هاجسا لديه ، ما يفتأ يكرره كلّما وجد السبيل لذلك ، وهو ما سيتضح في الصفحات اللاحقة من هذا الفصل .

1- جدلية المرأة والوطن في شعر نزار قباني:

زاوج نزار قباني بين المرأة والوطن ، فكان عاشقا وشاعرا للمرأة والحبّ من جهة ، وشاعرا وطنيا غاضبا لما آل إليه الوطن العربي من جهة أخرى ، لذلك رفض رفضا مطلقا الفصل بين المرأة والوطن، ورأى بأنّ الفاصل الذي وضع بين شعر الحبّ والسياسة مجرد وهم ، لأنّ جلّ ما كتبه في المرأة من أجل تحريرها وبسط قضيتها لم يكن إلّا سبيلا لتحرير الوطن ، فالقضية واحدة والغاية واحدة .

وعلاقة المرأة بالوطن هي علاقة وطيدة لا يمكن فصلها أبدا ، وكتابة الشعر العاطفي لا يتعارض مع الوطنية كما يدّعي البعض ، فشعر الحبّ والحرب كلاهما ينبع من الإنسان ، وهؤلاء الذين يتصورون أنّ المرأة عنصر مضاد للوطن ومتناقض معه لا يعلمون أنّهما شيء واحد " فالذي يحبّ امرأة يحبّ وطنا .. والذي يحبّ وجها جميلا يحبّ العالم " [1].

هكذا وضع الشاعر المرأة في موقع العلاقة مع الوطن ، فخرجت بذلك تجربة الحبّ من التجربة الشخصية ، وصارت تجربة جماعية تتابع هدفا جماعيا ، فهو يكتب عن المرأة وعن القضية العربية بحبر واحد ، ويقاتل من أجل تحرير المرأة من رسوبات العصر الجاهلي ، كما يقاتل من أجل تحرير الأرض من وطأة الاحتلال ومن بقايا الجهل والتخلّف .

وقد بات من الواضح أنّ القصائد الوطنية والسياسية للشاعر أصبحت تزاحم قصائده الغزلية ، فالمرأة والوطن في شعره ثنائية لا يمكن الفصل بينها لأنها تمثّل روحين في جسد واحد هو القصيدة ، ويؤكّد نزار موقفه هذا شعريا في قوله : [2]

فهَلِ المَرأَةُ شَيءٌ آخَرَ غَيرُ الوَطنْ ؟
آهٍ لَوْ يُدرِكُ مَن يقرَؤُنِي
أنَّ ما أَكتُبُهُ فِي الحُبِّ
مَكتوبٌ لتحرير الوَطَنْ

جعل الشاعر من كلّ ما كتبه لتحرير المرأة عملا لأجل تحرير الوطن ، فالوطن عنده يعني الحياة و الحبّ و البقاء .

---

[1] نزار قباني : الأعمال النثرية الكاملة ، ج7 ، ص 558 .
[2] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص 430 .

ونحن من خلال سبر أغوار أشعار نزار قباني ، و بعد الاطّلاع على الكثير من قصائده الوطنية والغزلية ، وجدنا أنّه أكثر الشعراء العرب المعاصرين الذين صنعوا صورة شعرية متميّزة حين ربط بين المرأة والوطن ، واتخذ منهما سبيلا لتجسيد مشاعره المتدفقة ، فمَزْجُ الحبّ مع الوطن أعطاه معنى جديدا مبتكرا تموج فيه الإنسانية بحثا عن التغيير والإصلاح والثورة .

يقول الشاعر في تعامله مع الغزل والوطن : [1]

أحَاولُ مُنذُ الطُفُولَةِ رَسمَ بِلادٍ
تُسَامحُنِي ..
إنْ كَسرتُ زُجاجَ القَمَرْ
وتَشْكُرني إنْ كَتبتُ قصيدةَ حُبٍّ
وتسمحُ لِي أَنْ أُمارِسَ فِعلَ الهَوَى
كَكُلِّ العصَافِيرِ ، فوقَ الشَجَرْ..

حاول الشاعر في هذا المقطع تشكيل صورة للبلاد التي يحلم بها ، بلاد تحبّه وتتحمّل أخطاءه وتسامحه عليها مهما عظمت هذه الأخطاء (تسامحني إن كسرت زجاج القمر) ، كما تشكره إن كتب قصيدة حبّ ، وهو هنا يركّز على فكرة الحرية وخاصة حرية الحبّ ، فموضوع الحبّ والمرأة عند شاعرنا لم يعد ذلك الموضوع البسيط الذي ألفنا صوره وآلياته في تراثنا الشعري ، إنّه موضوع تلتبس فيه وتشتبك مجموعة موضوعات مهمة .

وفي نفس السياق يقول الشاعر في قصيدة أخرى رابطا بين الحبّ والوطن : [2]

آهٍ .. كمْ كَانَ جمِيلاً
أنْ يَكونَ الحبُّ إقليمًا صَغيرًا
من أَقَالِيمِ الوَطَنْ

اتخذ الحبّ عند الشاعر بعدا جديدا بعدما ارتقت المرأة في ذهنه واتخذت صورة الوطن وأصبح إقليما صغيرا من أقاليم الوطن .

---

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج 6 ، ص 344 .
[2] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج4 ، ص 313 .

ظلّ الشاعر يتحدث عن الحبّ مستغلاّ طواعية اللغة الشعرية التي مرّن قلمه عليها ، وظلّ يغيّر المواقف ، فحينا يتحدّث الشاعر المحبّ ، وحينا يتحدث الشاعر الوطنيّ المسكون بهموم بلاده ، وأحيانا أخرى لا تصبح المرأة جميلة في نظره إلّا إذا عالقها مع طبيعة بلاده ، يقول : [1]

لأَغزِلَ غَيمَ بِلاَدِي شَرِيطًا
يَلُّفُ جَدَائِلَكِ الرَاعِدَهْ
لأَغْسِلَ رِجْلَيْكِ يَا طِفْلَتِي
بمَاءِ يَنَابِيعِهَا البَارِدَهْ

ربط الشاعر المرأة بتلك المعاني التي يستمدّها من طبيعة بلاده ، إذ نجده يغزل لها من الغيم شريطا يلفّ به جدائلها ، ويغسل قدميها بماء ينابيعها البارد ، فهو في علاقاته العاطفية وطنيّ إلى أبعد حدود الوطنية ، لأنّ المرأة عنده وطن لآخر ، وهو لا يشعر بحبّه لها إلا من خلال حبّه للوطن الذي نشأ فيه وانتهى إليه ، لذلك واءم بين حبّه العاطفي وحبّه القومي ، ورفع قضية الحبّ من المستوى الذاتي السطحيّ إلى المستوى الوطني ذو الهمّ العام ، وكأنّه يضع مخططا جديدا لحبّ عربيّ جديد يتجاوز الانفعالات السطحية الضيقة ، وتظهر هذه الصورة جلية من خلال قصيدة " ملاحظات في زمن الحبّ والحرب " ، حيث يقول : [2]

أَلَاحَظْتِ كَيْفَ اخترقْنَا جِدَارَ الزمَن
وصَارتْ مسَاحَةُ عينيكِ ..
مِثلَ مسَاحَةِ هذَا الوَطنْ

يتضح من خلال هذه القصيدة موقف الشاعر المتأرجح بين صورتي المرأة والوطن ، حيث تتداخل خطوط الصورتين ، وتتداخل التجربة الشعرية مشكّلة عالما جديدا يصبح الحبّ فيه مرهونا بانتصارات الوطن وأمجاده ، لأنّه في نظر الشاعر لا يعيش طويلا بظلّ الهزيمة ، فحينما يختلط زمن الحبّ بزمن الحرب والانتصار يزداد حبّ الشاعر للمرأة وينمو حتى تصير مساحة عينيها مثل مساحة الوطن .

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص 56 .
[2] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 447 .

كما تتجلّى ثنائيـة الـمرأة والوطن كذلك في قصيدة "بلقيس" ، حيث استطاع الشاعر أن يحيل همّه الذاتي في فقدان زوجته إلى همّ وطني ، حينما جعل موت زوجته فقدانا للوطن وفقدانا للهوية العربية، حيث يقول : [1]

لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ رُبعِ قَرنٍ حَرَرُوا ..
زيتُونَهْ ..
أَو أَرْجَعُوا لَيْمُونَهْ
ومَحَوا عَنِ التَارِيخِ عَارَهْ
لَشَكَرْتُ مَن قَتَلُوكِ يَا بَلْقِيسْ ..
يَا مَعبودَتِي حَتَّى الثَمَالَهْ ..
لَكِنَّهُمْ .. تَرَكُوا فِلَسْطِينًا ..
لِيغْتَالُوا غَزَالَهْ !! ...

بهذا جعل الشاعر مأساته الشخصية جزءا من مأساة هذا الوطن ، فاغتيال بلقيس هو اغتيال للأمة العربية من المحيط إلى الخليج ، وهؤلاء الذين قتلوها تركوا خلفهم ما تعانيه فلسطين من ويلات تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي ليتقاتلوا فيما بينهم ، وفي النهاية تدفع الشعوب وحدها ثمن هذا التناحر والتقاتل ، وتفقد كلّ جميل في حياتها .

تجاوز حضور المرأة في قصائد نزار تاء الأنوثة ليجسّد لنا عالما أوسع هو الوطن ، فتداخلت أوصاف كلّ منهما ، وكما أسندت أوصاف المرأة للوطن تمّ إسناد المكانية إلى المرأة حيث تتهدم الحواجز بينهما نهائيا، كما في قول الشاعر : [2]

تَجَوَّلتُ فِي أَزِقَةِ صَوتكِ المُمْطِرَهْ
بَحْثًا عَنْ مِظَلَةٍ تَقِينِي مِنَ المَاءْ

في هذا المقطع خرق الشاعر قانون اللغة وتحايل عليها ، وجعلها تقول ما لم تقله أبدا ، حيث غدا لصوت حبيبته أزقة ممطرة (استعار أوصاف المكان) ، وإيراد الأزقة جمعا يوحي بألوان كثيرة لصـوت

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج4 ، ص 78، 79 .
[2] نزار قباني : المصدر نفسه ، ج2 ، ص 687 .

المحبوبة التي اتخذت في ذهن الشاعر شكل وطن واسع مترامي الأطراف .

وأمّا في قصيدة " متى يعلنون وفاة العرب " فمع تغلغل الشاعر في المأساة العربية ، ومع الحدة السياسية والقومية ، إلّا أنّه ظلّ يختبأ بظلال المرأة ، حيث يقول : [1]

أُحَاوِلُ سَيِّدَتِي أَنْ أُحِبَّكِ
فِي أَيِّ مَقْهًى ذَهَبْتُ إِلَيهْ ..
لِأَشْعُرَ حِينَ أَضُمُّكِ يومًا لصَدرِي
بِأَنِّي أَضمُّ تُرَابَ الوَطَنْ

يبدو أنّ الشاعر حين يئس من الوطن ملاذا وخلاصا حقيقيا بحث عنه في منبع الحنان الأصيل ، في امرأة تأسر وجدانه وتستنزف حبره وقصائده ، فحين تحجب ظروف الحياة المرء عن وطنه وتنّمي فيه الإحساس بالغربة والحزن ، يجنح إلى الآفاق الرحبة للمرأة وعالمها .

وفي قصيدة أخرى رسم الشاعر ملامح الوطن كما يرسم ملامح المرأة المحبوبة دون أن نشعر بمفارقة بينهما، حيث يقول : [2]

أُحِبُّكِ .. يَا امرأةً من بِلاَدِي
وأَنوِي ، عَلى شَفَتيكِ الإِقَامَهْ
أَلَاحَظْتِ .. كَمْ تُشْبِهِينَ دِمشقَ الجَميلَهْ ؟
وكَمْ تُشْبِهِينَ المَآذنَ .. والجامِعَ الأَمَوِيَّ ..ورَقصَ السَمَاحْ
(...)
أَلَاحَظْتِ .. أَنَّكِ صِرتِ دِمشقَ ..
بِكُلِّ بَيَارِقِهَا الأَمَوِيهْ
ومِصرَ .. بِكُلِّ مَسَاجِدِهَا الفَاطِمِيَهْ

من المعروف كثيرا أنّ الشاعر حينما يتغزّل في محبوبته فإنّه يشبهها بالأشياء الجميلة كالقمر والشمس ، وغيرها من الصور المألوفة ، لكنّ نزار قباني في هذا المقطع كسر المألوف وخرج عن العادة ،

---

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 315 .
[2] المصدر نفسه ، ص 459 ، 460 ، 463 .

حيث شبّه محبوبته بدمشق ومآذنها وجوامعها ، حتّى أنّهما تتوحدان معا وتندمجان في نسق واحد حتّى يصعب التمييز بينهما ، ولعلّ تشبيه المرأة بدمشق (المكان / الوطن) جعل مشاعر الحبّ تمتزج بالوطنية حتّى غدت المحبوبة رمزا لكلّ ما هو جميل في الوطن .

إنّ ظهور الحسّ القومي العربيّ والوطنيّ في قصائد الشاعر جعله ناجحا حين تحدّث عن الوطن مثلما ينجح حين يتغزّل بالمرأة ، فهو لا يستطيع التخلّي عن هذا المزج بين هموم الوطن وهموم المرأة ، كما لا يتمكن من الهروب من هذا العشق الذي يسكنه للمرأة وهو يكتب عن الوطن ، إنّه الامتزاج الأزلي، امتزاج الحبيبة بالوطن ، فنزار شاعر حرّضته المرأة على الكتابة مثلما حرّضه الوطن .

وفي ضوء كلّ هذا ارتأينا أنّه يتوجب علينا دراسة هذا التوحّد والامتزاج بين المرأة والوطن في محورين أساسيين هما : " المرأة الوطن " و " الوطن المرأة " .

2- المرأة الوطن :

منذ أن خطّ نزار قباني أول قصيدة في ديوانه الأول " قالت لي السمراء " وهو يغوص في عالم المرأة ، يتغزّل بها تارة ويدافع عن حقّها في التعبير عن حاجاتها وبسط قضيتها تارة أخرى ، فتقدمت في وجدانه على قضايا الوطن وما يعانيه من ويلات ، لأنّه أدرك أنّه لا يمكن تأسيس وطن تكون فيه المرأة بلا وجود .

لكن وفي مرحلة لاحقة لم تعد المرأة موضوعا منفردا بل أصبحت وسيلة لتجسيد مواقف الشاعر تجاه وطنه ، وأضحت تعبيرا عن الصدى الصادق للحدث الإنساني الوطنيّ ، ولم يعد الجسد دوما الجسد الجميل المشتهى ، بل تحول إلى دلالات تحيل إلى الأرض والوطن ، فمع بروز قضايا التحرر في العالم العربي تحولت صورة المرأة إلى رمز لقضايا الاستقلال والثورة ، وأضحت صورة وطنية تحمل كلّ المعاني التي يكتنزها المجتمع في مسيرته الوطنية ، وأيقونة تختصر في شكلها وأزيائها ومواقفها قصة شعب وأمة عربية برمتها ، فبدأنا بذلك نطوي صفحة المرأة الجسدية ونغادر إلى عالم المرأة الوطن ، حيث توزّعت عاطفة الشاعر بين حبّ المرأة وحبّ الوطن .

لقد باتت المرأة في شعر نزار مختلفة جدا عن المرأة العادية التي يعشقها كلّ الناس ويتغزّلون بها ، فهي من نوع خاص قد تكون فكرة أو قضية أو فلسفة ، وفي أغلب الأحيان تصير وطنا يلتجأ إليه حين تختفي كلّ الأوطان الأخرى وتصير أوطانا مزيفة : [1]

فَلَمْ يَعُدْ لِي وَطَنٌ أَلتجِئُ إِلَيهِ
سِوَى سَوَاحِلِ يَدِيكِ ..
أَنْتِ الوَطنُ الأَخيرُ البَاقِي علَى خَريطَةِ الحُرَيهْ
أَنتِ الوَطنُ الأَخيرُ الذِي أَطْعَمَنِي من جُوعٍ
وَآمَنَنِي مِن خَوفٍ
وكُلُّ الأَوطَانِ الأُخرَى ..أَوْطَانٌ كَارِيكَاتُورِيَهْ

جعل الشاعر من المرأة ملجأه الأخير ، وملاذه الآمن الذي يطعمه من جوع و يأمنه من خوف، فهي الوطن الأخير المتبقي على خريطة الحرية (الحرية هنا إشارة واضحة إلى الوطن العربي الذي ظلّت

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 530 .

حريته مسلوبة نتيجة الاستعمار ، الذي يعتبر من أهمّ الأسباب والعقبات التي تواجه الإنسان العربي في حياته سواء كان هذا الاستعمار بشكله القديم (العسكري) أو بأشكاله الحديثة غير المباشرة) ، ووجود امرأة بهذا الشكل جعله يتنازل عن كلّ الأوطان الأخرى ، فهي وحدها جديرة بأن تكون وطنا أخيرا لأنّها امرأة استثنائية ، وحالة نادرة لا تتكرر ، أمّنت للشاعر مكانا دافئا يفيض بالحبّ والحنان ، وحررته من إحساس الفقدان الناتج عن توالي الهزائم ، وخسارة الوطن العربي قطعة بعد الأخرى ، فاستحقت بذلك في نظره أن تمدح بعبارات من القرآن الكريم (أطعمني من جوع / آمنني من خوف) .

ارتقت المرأة في ذهن الشاعر لتصبح وطنا وأرضا ورمزا للخصب والحياة ، ولم تعد محصورة في حدود الصورة القسرية المكررة ، وانتقل الشاعر من الحديث عنها ككيان مستقل إلى الحديث عنها كجزء من قضية كبرى ، فصارت كلّ تجربة عاطفية خاصة نحو المرأة جزءا من فكرة أعمّ وأشمل هي حبّ الأرض والوطن ، حيث يقول الشاعر في قصيدة " القرار" : [1]

إنْ كانَ لِي وَطَنٌ ..فَوَجْهُكِ مَوطِنِي
أَوْ كَانَ لِي دَارٌ .. فَحُبُّكِ دَارِي

في هذا المقطع يعتبر الشاعر نفسه بلا وطن ، فهو لا يملك في وطنه سوى السكن والإقامة فحسب ، في حين أنّ نظرته للوطن واسعة تتجاوز هذه الحدود الضيقة ، إضافة إلى أنّ هذا الوطن وبعد كل التشظيات و الانقسامات والقضاء على حلم الوحدة العربية تحوّل على سراب ، فتلاشت كلّ أحلام الشاعر وتبخرت في ظلّ التناحر والتقاتل بين أبناء الشعب الواحد لأجل غايات ومصالح ذاتية ، لذلك قرر الالتجاء إلى المرأة ، لأنّها الوحيدة التي ظلّت تلهمه بالشعر، وتعيد له كلّ الأحلام المسروقة ، فتحولت بذلك إلى فكرة مجردة تحيل إلى وطن غير محدود بجغرافيا ما ، وطن رمزي ظلّ يشبه الحلم بامرأة فوق العادة سوف تأتي يوما ما .

انشغل الشاعر بعملية المزج بين المرأة والوطن ، حتّى جعل من المرأة خارطة مفصلة لتضاريس الوطن حيث يقول : [2]

جِسْمُكِ مَنَارَةُ المَنَارَاتِ

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج4 ، ص 99 .
[2] المصدر نفسه ، ص403 .

ووطنُ السُفُنِ التِي لاَ وَطنَ لهَا
ووطنُ العَصافِيرِ التِي تَمُوتُ من شِدَّةِ البَردِ
ووطنُ الكَلمَاتِ
التِي تَمُوتُ من شِدَّةِ القَمْعِ

لم تعد المرأة جسدا مثيرا فقط ، بل أصبحت جزءا من فكرة شاملة هي الوطن فاختلطت بذلك مواصفات الجسد بمواصفات المكان (جسمك منارة / وطن السفن : البحر/ وطن العصافير: الأشجار) والشاعر هنا لا يكتفي بالمرأة مهربا بل يلوذ بالمرأة والوطن معا في شعرية متميزة ، ومعجم لفظي ثري ومتنوع مشكّلا من المرأة وطنا فسيحا يشمل الكون الواسع ، بأشجاره ، وبحاره ، وعناصره الطبيعية والاصطناعية .

وأمّا في قصيدة " اللؤلؤ الأسود " فيؤكد الشاعر بأنّه لا يستطيع أن يرى الوطن إلّا في المرأة وجمالها ، فبعينيها قد اتخذ هذا الوطن مسكنه وكأنّما هو أيضا يحتاج إلى وطن : [1]

فَمِنْ مَقْعَدِي ..
أَرَى وَطَنِي فِي العُيُونِ الكَبيرَهْ
أَرَى مِئذَنَاتَ دِمَشقٍ
مُصَوَرَةً ..
فَوقَ كُلِّ ضَفِيرَهْ

يمثّل هذا المقطع تجربة مدهشة في فكرتها وتشكيلها ، حيث تتوحد المرأة مع الوطن ، وتتداخل خطوط صورتيهما ، حتّى يصبح من الصعب على المتلقي الفصل بينهما وتمييز صورة المحبوبة من صورة الوطن ، فحين لا يجد الشاعر المرأة التي يبحث عنها في عالم البشر فإنّه يصنع منها فضاءً فسيحا ، حيث يراها في جميع الأشياء ، في الغيم والمآذن وهموم الناس ، وحين يفشل جسد المرأة في إرواء فهمه بالصور الجديدة والمبتكرة ، ينتقل إلى عالم أوسع هو الوطن ، لأنّه دائما يبحث عن الأجمل بين النساء وبين الكلمات .

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص403 .

وفي قصيدة أخرى يرمي الشاعر جواز سفره في البحر ليعلن للمرأة أنّه سمّاها وطنه ، يقول : [1]

أَرْمِي جَوَازَ سَفَرِي فِي البَحرِ ..
وأُسَمِّيكِ وَطَنِي ..

إنّ فكرة الحبّ عند نزار قباني مرتبطة بفكرة الوطن ، إذ لم يقتصر حبّه للمرأة على التغني بها وبجمالها ومفاتنها ، وإنّما ذهب في حبّه لها مذهبا وطنيا حينما رمى جواز سفره في البحر وتخلى عن هويته السابقة والتجأ إلى المرأة التي أصبحت وطنه وانتماءه .

وأمّا في قصيدة أخرى فقد جعل الشاعر منها ومن جسمها خرائط لبلاده يقرأ تفاصيلها في كتبه المدرسية، يقول : [2]

قَرَأتُ خَرائِطَ جِسمكِ فِي كُتُبِي المَدْرسيَهْ
ولَازِلْتُ أَحْفَظُ أَسْمَاءَ كُلِّ النُهُورِ
وأَشْكَالَ كُلِّ الصُخُورِ
وعَادَاتَ كُلِّ البَوادِي
ولَازِلتُ أَحفظُ أَعمَارَ كُلِّ الجِيَادِ
فَكَيفَ أُفَرِّقُ ..
بَينَ حَرَارَةِ جِسمكِ أنتِ ..
وبينَ حرَارةِ أَرضِ بِلاَدِي ؟؟

عبّر هذا المقطع بدقة لا متناهية عن كلّ ما ذهبنا إليه سابقا في هذا الفصل ، حيث تماهت وتلاشت كلّ الحدود الفاصلة بين المرأة والوطن ، وصارت حبيبة الشاعر خارطة مفصلة لتضاريس بلاده بما تشتمل عليه من أنهار وصخور وبواد وجياد ، وأصبح من الصعب على الشاعر نفسه التفريق بين حرارة جسم محبوبته وبين حرارة أرض بلاده .

حمّل الشاعر المرأة دلالات متشعبة وربطها بدلالات الأرض والوطن والغربة والعودة ...الخ ،

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج4 ، ص 348 .
[2] نزار قباني : المصدر نفسه ، ج3 ، ص 456 .

وجعلها وطنه الأوّل والأخير فمنها يكون البدء وفيها يكون الانتهاء ، يقول : [1]

يَا آخِرَ وَطنٍ أُولَدُ فِيهِ ..
وأُدفنُ فِيهِ
وَأنشرُ فيهِ كِتَابَاتِي

حينما يعلن الشاعر في هذا المقطع للمرأة بأنّها آخر وطن يولد فيه ويدفن فيه ، نجد أنفسنا أمام سؤال محير ؛ هل المرأة التي يقصدها الشاعر ويخاطبها بهذه الأسطر الشعرية هي المرأة الحقيقية أم هي الأرض (الوطن) ؟ إذ من الصعب تحديد مقصوده هنا ، فبينما يكون البدء الإنساني من رحم المرأة ، فإنّ المنتهى الإنساني يكون دخولا في رحم الأرض ، فرحم المرأة هو الوطن الأول الذي يولد فيه المرء ويستمدّ منه الدفء والأمان ، أمّا رحم الأرض فهو الوطن الأخير الذي يحتضن الإنسان بعد موته ، ولعل هذا التداخل بين المرأة والأرض(الوطن) ، وصفاتهما المشتركة والعلاقة الوطيدة بينهما هو ما صّعب على المتلقي مهمة التمييز بينهما وتحديد مقاصد القصيدة .

شكّلت " المرأة الوطن " في شعر نزار قباني تجربة فريدة من نوعها ، من حيث امتزاج المرأة بالوطن واكتسابها لمواصفاته وأشكاله المختلفة لتظهر في نهاية المطاف بحلة جديدة تركيبها مزيج بين الصورة الإنسانية الحية للمرأة وبين طبيعة الوطن الساكنة .

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج4 ، ص 180 .

3- الوطن المرأة :

حين انتقل الشاعر للحديث عن هموم الوطن العربي وقضاياه المختلفة ، لم يستغن مطلقا عن المرأة ولم يتجاوزها أبدا ، لأنّها مارست ضغطا عليه واستحوذت على مخيلته حتّى أصبحت حاضرة في كلّ القصائد ، تشاركه الهمّ الوطنيّ والقوميّ ، وصارت وسيلة لطرح مواقفه تجاه أمّته ممّا جعله يوسّع من مجاله الشعري ، فتغزّل في وطنه مثلما تغزّل في محبوبته ، بل كانت المرأة أحيانا طريقه إليه حينما يتوحدان معا ، كما أنّ " الوطن قد يصبح في مرحلة من المراحل عشيقة أجمل وأغلى من كلّ العشيقات " [1] .

وقد تجسّد هذا التداخل والتوحد بين المرأة والوطن في مجموعة كبيرة من القصائد ، وبطريقة متميزة توجب على المتلقي إمعان النظر والتعامل بروية مع القصيدة لتحديد مقاصدها ، فالذي لا يتمعن في سياق الشاعر اللغوي أو مناسبة القصيدة يفهم مباشرة أنّ الشاعر يتغزّل بامرأة من نساء الواقع المحسوس، كما في السطور الشعرية التالية : [2]

عَيْنَاكِ آخِرُ فُرصَتَينِ مُتَاحَتَينِ
لِمَنْ يُفَكِّرُ فِي الهُرُوبْ ..
وأَنَا .. أُفَكِّرُ بِالهُرُوبْ ..
عَينَاكِ آخِرُ مَا تَبَقَّى من عَصَافيرِ الجَنوبْ
عَيناكِ آخرُ ما تَبَقَّى مِن حَشِيشِ البَحرِ ،
آخرُ ما تَبقَى من حُقُولِ التِّبغِ ،
آخرُ ما تَبقَىَ من دُموعِ الأُقْحُوَانْ
عيناكِ .. آخرُ زَفَةٍ شَعْبِيَةٍ تَجرِي
وآخِرُ مِهْرجَانْ ..

فالشاعر هنا لا يحدثنا عن أيّة امرأة ، على الرغم من أنّه استعار شيئا من لوازمها (العينان) ، بل يحدثنا عن الأراضي العربية المحتلة التي أصبحت جرداء بفعل الخراب والحروب والصراعات الأهلية والطائفية ، ونحن لو أكملنا القصيدة إلى نهايتها لتجلى لنا هذا المعنى بوضوح ، حيث نجد الشاعر في

---

[1] نزار قباني : الأعمال النثرية الكاملة ، ج7 ، ص421 .
[2] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 79 .

مقاطع لاحقة يذكّرنا كيف ضاعت غرناطة ، وكيف ذبحت بيروت في ظل الحرب الأهلية ، وكيف تعاني فلسطين تحت أيدي الاحتلال الإسرائيلي ، ليعلن في الأخير أنّ عينا هذه المرأة آخر ما تبقى له في هذا الوطن الحزين المليء بالجراح ، يقول : [1]

عَيناكِ آخرُ ما تَبقَى مِن شُتُولِ النَخلِ
فِي وَطنِي الحَزِينْ
وهَوَاكِ أَجْمَلُ ثَورةٍ بَيضَاءَ ..
تُعْلَنُ مِن مَلَايينِ السِنينْ

صرّح الشاعر في هذا المقطع بأنّ هذه المرأة التي تحدّث عنها فعلا هي الوطن العربي ، وهو يبحث في عينيها عن ثورة بيضاء تنشر الأمن والسلام والاستقرار ، فالتوظيف النسوي عند الشاعر في كثير من القصائد لم يكن توظيفا غزليا كما يفهم من ظاهر القصيدة ، بل كان توظيفا سياسيا وطنيا ، وما المرأة النزارية إلاّ وسيلة أساسية لكشف الكثير من القضايا السياسية في الوطن العربي .

حمل الشاعر الوطن بداخله وكان حبّه له نقيا كنقاء الثلج ، ساطعا كشمس دمشق التي كتب فيها الكثير من القصائد ، لأنّها تسكن في كلّ جزء من حياته وفي كلّ سطر من قصائده ، فكان يتغزّل بها ويخاطبها كما يخاطب المرأة شاكيا لها همومه وأحزانه، يقول : [2]

فَرَشْتُ فَوقَ ثَرَاكِ الطـــاهِرِ الهُدُبَـــا
فَيَـــا دِمَشْـــقُ ، لمَـــاذَا نَبدأُ العَتَبَـــا ؟

حَبِيبَتِـــي أَنتِ .. فَاسْتَلْقِـــي كَأُغْـــنِيةٍ
عَلَى ذِرَاعِي ، ولَا تَستَوضِحِي السَبَبَا

أَنْتِ النِسَاءُ جَمِيعًا .. مَا مِنِ امْـــرَأَةٍ
أَحْبَبْتُهَا بَعـــدكِ ، إلاَّ خِلتُـــهَا كَذِبَـــا

يتضح من خلال هذا المقطع أنّ حبيبة الشاعر هي دمشق ، وقد مثّل حضورها بالنسبة لـه

---

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 90 .
[2] نزار قباني : المصدر نفسه ، ج3 ، ص 417 .

له حضور النساء جميعا ، بل وصارت كلّ امرأة أحبّها الشاعر بعد دمشق مجرد كذبة ، فحبّه لها ألغى كلّ النساء ليبقى فكره وقلبه لدمشق وحدها التي ظلّت تحرّضه على الكتابة .

ويقول في مقطع آخر : [1]

أنَا قَبيلَـــةُ عُشَّـــاقٍ بِكَامِلِـــهَا
ومِن دُموعِي سَقيتُ البَحْرَ والسُحُبَا

فَكُلُّ صَفْصَـــافَةٍ حَوَلْتُـــهَا امـــرأةً
وكُلُّ مِئذَنَـــةٍ رَصَّعْتُـــهَا ذَهَبَـــا ..

إنّ المرأة غنية بطبيعتها ، توحي للشاعر بآلاف الصور والأخيلة ، لذلك نجد نزار يصوغ كلّ جزء من دمشق في هيئة امرأة (فكلّ صفصافة حولتها امرأة) ، هذه المرأة التي طالما اقترنت بالوطن وشكّلت أبعاده ودلالاته المختلفة ، وتحولت إلى علامة منمذجة لعالمه الشعري ، فأسلوب تأنيث المكان في النقد العربي مرتبط بفكرة الأنوثة بما للمرأة من معاني الوطن ، وثنائية الوطن والأنثى تظهر في عشق نزار لدمشق بطريقة متفردة ، حيث تظلّ دمشق دائما حاضرة في وجدان الشاعر يستمد منها أروع الكلمات على الإطلاق .

يقول في قصيدة " ترصيع بالذهب على سيف دمشقي " : [2]

شَـــامُ .. يَا شَـــامُ .. يا أَمِيـــرَةَ حُبِّـــي
كَيـــفَ يَنْسَـــى غَرَامَـــهُ المَجْنُـــونُ ؟

يكرر الشاعر لفظة " الشام " ، لأنّ التكرار كما تراه نازك الملائكة " هو إلحاح على جهة مهمة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها " [3] ، فنزار يلّح على اسم " الشام " لأنّها تمثل بالنسبة له الأصل والوطن الأم الذي لقّنه أبجدية العشق وأبجدية الشعر ، محوّلا إياها من سكونية المكان إلى حركة إنسانية تتجسد في زيّ امرأة وأميرة حسناء .

---

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 419 .
[2] المصدر نفسه ، ص 438 .
[3] نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، ط6 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1981 ، ص 276 .

لقد أصبح الشاعر يكتب بالمرأة للوطن ، وغدت المرأة جزءا من قضية كبرى ، وسببا وجيها من أسباب الحياة ، يتبنّاها الشاعر كحل للهروب من الواقع المرّ الذي يعانيه الوطن ، ويحمّلها رموز النضال والثورة ، حيث يقول : [1]

يا دِمَشْقُ اِلْبسِي مِن دُمُوعِي سِوَارَا
وتَمَنَـــــيْ ، فَكُلُّ صَعْـــبٍ يَهُونْ

وضَعِي طَرْحَةَ العَرُوسِ .. لأَجلِـي
إِنَّ مُهْـرَ المُنَاضِـــلاَتِ ثَمِيـــــنْ

نادى الشاعر في هذه القصيدة دمشق (المرأة) ، طالبا منها أن تلبس دموعه سوارا تتزين به ، وأن تتمسك بالأمل والأمنيات ، لأنّه سيأتي يوم تهون فيه كلّ الصعاب ، وتحصد ثمار الصبر والنضال، مازجا بين صورة المرأة والوطن ، حيث تلونت صورة دمشق بين صورة المرأة (الأم) التي ترضع أطفالها حليب النضال والثورة ، وبين صورة الوطن العربي المجروح الذي ظلّ يتجرّع دموع الحزن والشقاء ، مكتسبة بذلك الكثير من المعاني والدلالات .

إنّ هذه الدلالات الكامنة في صورة دمشق باعتبارها نموذجا وطنيا شكّل أحد أهمّ البوابات الموضوعاتية في شعر نزار قباني ، إذ تمثل علاقة الشاعر بها مثلا للانتماء الوطني .

والمعنى نفسه نجده في حديث الشاعر عن بيروت ، المرأة الثانية في شعره ، والتي شغلت هي الأخرى حيزا كبيرا من شعره ، حيث يقول[2] :

آهٍ يَا بَيروت يَا أُنْثَايَ من بَيْنِ مَلاَيِينِ النِسَاءْ
يَا رَحِيلاً بُرتُقالِيًا عَلَى وَرْدٍ .. وبُرُوقٍ .. ومَاءْ
يَا طمُوحِي عِنْدَمَا أَكْتُبُ أَشْعَارِي لتَقْرِيبِ السَمَاءْ

يفصح الشاعر في هذه الأبيات عن أنثاه التي سكنت قلبه منذ زمان بعيد من بين جميع نساء العالم ، إنّها بيروت الحبيبة والوطن ، التي رأى فيها الشاعر مرفأ أحلامه وقلبه وأشعاره ، والتي يغدو بها المستحيل سهل المنال .

---

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 439 ، 440 .

[2] المصدر نفسه ، ص690 .

ويستمر الشاعر في مزجه بين المرأة والوطن مصورا "بيروت" بامرأة يتغزّل بها ، متغنيا بمفاتنها ومكامن الجمال فيها ، حيث يقول في قصيدة " مع بيروتية " : [1]

بَيرُوتْ .. أُفَتِّشُ عَنْ بَيرُوتَ
عَلَى أَهْدَابِكِ والشَفَتَيْنْ
فَأَرَاهَا طيرًا بحرًيا
وأَرَاهَا .. امرأةً فَاتِنَةً
تَلبَسُ قُبعَةً من رِيشْ
تَشْبِكُ دُبُوسًا ذَهَبِيًا
وتُخَبِئُ زَهرَةَ غَارِدِينيَا
خَلْفَ الأُذُنَيْن

ربط الشاعر جمال بيروت بجمال المرأة الفاتن ، حيث انزاحت عن طبيعتها وأصبحت امرأة تجلس مع الشاعر الذي أعطاها ملامح المرأة وأشيائها (تلبس قبعة من ريش / تشبك دبوسا ذهبيا في شعرها / تخبئ زهرة غارديديا خلف الأذنين) ، زارعا بذلك الحياة في الجماد ، مختصرا المدى الكبير (الوطن / الأرض) في صورة امرأة .

اتخذ الوطن عند نزار قباني أبعادا متشعبة ومتداخلة ، فهو انتماء وتاريخ وخليط معقد من المشاعر والعواطف يحتاج سبرها إلى عمليات تحليل معقدة ، بل يمكن للوطن أن يتخذ صورا وأنماطا متنوعة ، فيتسع أحيانا ليشمل العالم كلّه ، وقد يضيق – في بعض الأحيان — حتّى يمكن اختزاله في مدينة أو شجرة أو امرأة ، وفي ضوء ذلك تعددت دلالات الوطن عند الشاعر ، فمرة يراه في مآذن دمشق ونساء الشام ، ومرة أخرى يراه في عيني بيروت وضفائرها الذهبية ، يقول :

يا سِتِّ الدُنْيَا يَا بَيرُوتْ ..
مَن بَاعَ أَسَاوِرَكِ المَشْغُولَةَ بِاليَاقُوتْ ؟
مَنْ صَادَر خَاتَمَكِ السِحْريّ ،
وَقصَّ ضَفَائِرَكِ الذَهَبيَهْ ؟
مَنْ ذَبَحَ الفَرَحَ النَائِمَ فِي عَيْنَيكِ الخَضرَاوَيْنْ ؟

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص 690 .

اهتم الشاعر اهتماما ملفتا للانتباه بجماليات المرأة ، حيث وظّفها في حديثه عن لبنان والحرب الأهلية وانعكاساتها المختلفة على المجتمع اللبناني بصفة خاصة والعربي بصفة عامة ، فجاءت بيروت (المرأة) نموذجا وطنيا مشحونا بالرموز والدلالات خاصة عندما اقترنت بالمرأة ، فبيروت تلك التي كانت سيدة الدنيا وأميرة العالم ، تحولت في لحظة إلى مسرح للخوف والقتل وتعالت صرخاتها في وجه من سرقوا أمنها واستقرارها وجمالها ، وقد عبّر الشاعر عن هذا الوضع الذي آلت إليه بيروت في قوله (بيعت أساورها المشغولة بالياقوت ، صودر خاتمها السحري ، قصت ضفائرها الذهبية ، ذبح الفرح النائم في عينيها الخضراوين) ، فتصوير بيروت في شكل امرأة جُردت من كلّ مكامن الجمال عبّر بصدق عن حجم المأساة ، وقرّب الصورة إلى القارئ ، وجعله يحسّ بهول هذه الحرب التي قضت على كلّ جميل لتترك مكانه البشاعة والدمار .

لقد أضافت المرأة لبيروت بعدا جماليا من حيث البناء الفني للقصيدة ، كما استطاعت أن تجسّد المأساة بطابع إنساني دون تحديد جغرافي ، لتحمل الدلالات من مفهومها الضيق إلى مفهوم أوسع وأشمل.

إنّ مفهوم الوطن عند الشاعر وموقفه منه يستدعي منّا الوقوف عند منعطفات كثيرة أسهمت في تطوير مفهومه وتحديد دلالاته ، وفي ضوء كلّ هذا شكّلت القدس محورا وطنيا مهما بالنسبة للشاعر ، ومثالا للوطن المفقود ، حيث يقول : [1]

يا قُدسُ ..يا مَنَارَةَ الشَرَائِعْ
يا طِفْلَةً جَمِيلَةً مَحرُوقَةَ الأَصَابِعْ
حَزِينَةٌ عَيناكِ يا مَدينةَ البُتُولْ

شكّل الشاعر من القدس صورة امرأة تعاني ، حيث وظّف الدلالات الحية المتمثلة في (طفلة جميلة ، محروقة الأصابع ، حزينة عيناك) ، ولكنّه على غير عادته عدل عن استخدامه لفظة "امرأة" إلى استخدامه لـ"طفلة " ، فجاءت كلمة طفلة لتشحن الخطاب بدلالات البراءة والعفة والطهر، متجاوزة ذلك عندما اقترنت ب"محروقة الأصابع " لتدل على الضعف والعجز عن حماية النفس ، ويستمرّ الشاعر في استحضار صورة المرأة (الطفلة) من خلال خصائصها الجسدية (العينان) ، ليعبّر عن ذلك الحزن الذي تعيشه القدس ، صارخا في وجه العدو الصهيوني الذي سرق الهوية واحتل الوطن .

---

[1] نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 164 .

ولا غرابة أنّ دفاع الشاعر عن قضايا الإنسان في أيّ مكان ونضاله من أجل الحرية بكلّ ما في الكلمة من معنى كان سببا في تشابك الأمكنة والأوطان وتعددها في النصّ الشعري ، فلم يعد الحديث عن الوطن حديثا عن المنشأ أو الوطن الأمّ ، بل تعدّاه إلى أماكن وأوطان أخرى ، متجاوزا المجال القطري الضيق ، وبذلك قدّم إنجازا ضخما تمثّل في وعيه بزمانه ومكانه وإنسانيته ، دون أن يستغني عن المرأة التي ظلّت تشاركه الهمّ الوطنيّ والقوميّ ، وتمدّ ظلالها على كلّ القصائد ، فشكّل بذلك " الوطن المرأة " عالما متعدد الأبعاد والدلالات والرؤى .

آخر القول يتضح لنا أنّ الشاعر استطاع أن يقتحم عوالم الكتابة وهو مدمج بالرؤى والفلسفات صانعا لنفسه ملمحا شعريا متميزا شكلت فيه ثنائية المرأة والوطن المعلم البارز ، حيث مزج بينهما وجعلهما كيانا واحدا .

جمع الشاعر بين المرأة والوطن في مواطن يصعب على غيره الوصول إليها ، وعرف كيف يصوغ الوطن في صورة المرأة ، مثلما استطاع أن يصوغ المرأة في صورة وطن واسع مترامي الأطراف ، لنحصل في نهاية المطاف على قصائد متميزة تكوينها هو مزيج بين المرأة والوطن .

إنّ هذا المزج في شعر نزار قباني يمدّ بتجاربه الفنية بنفس عاطفي خضيب يولّد تلك الرؤية الحية ، حيث تحولت القصيدة إلى ومضة حلم يتميز فيه الحبّ بالوطنية وتمتزج فيه صورة المرأة بالوطن .

خاتمـــــــــــــة

استطاع نزار قباني على مدى خمسين سنة أن يخطّ اسمه على صفحات الشعر العربي المعاصر ، بأسلوب متفرّد ولغة شعرية متميزة ، جامعا بين المرأة والوطن في مواطن يصعب على غيره الوصول إليها ، ونحن في هذا البحث ومن خلال دراستنا لقصائد الشاعر وتحليلها خرجنا بالعديد من النتائج ، يمكن إجمالها فيما يلي :

– شكّلت المرأة في قصائد الشاعر موضوعا شائكا معقّدا ، يفتح المجال واسعا أمام تأويلات شتّى واحتمالات كثيرة ، فقد مثّلت عالما قائما بذاته لا تحدّه حدود معينة ، تتداخل أبعاده وتتشعّب دلالاته فهي واحدة ومتعددة ، غائبة وحاضرة ، كائن يعيش في الواقع ومثال مسكنه الخيال ، ملهمة الشاعر وصانعة قصائده لكنّها لاشيء بدون قصائده ، يختزل جسدها عناصر الطبيعة جميعها ، وهي كلّ شيء في الحياة ؛ فهي القصيدة والبيت والحبيبة والوطن وجواز السفر وبطاقة الهوية ، قدّمها لنا بمختلف صورها وحالاتها ، ودافع عنها وعن قضيتها ، فكان يكتب عنها طورا ويستعير لسانها طورا آخر حتّى ارتبط اسمه بها .

– واكب شعره الواقع العربي ، وعبّر عن آلام الإنسان العربي وآماله في الحرية والكرامة ، مستخدما في ذلك أسلوب الهجاء السياسي ، وكان الناطق الرسمي باسم الملايين من المواطنين الذين لم يجدوا فسحة للتعبير عن مشاغلهم ، كما دعا إلى دولة عربية موحدة ، فصارت أشعاره الوطنية الانطلاقة السريعة لمد وطني تحرري وحدوي .

– ظلت المرأة ترافق الشاعر طيلة مشواره الشعري تشاركه الهمّ الوطني والقومي ، وتنشر ظلالها على معظم قصائده ، وصارت موقفا من مواقف رحلته الطويلة ، وأرضية صلبة يرتكز عليها ليكشف عن قضايا وطنية وإنسانية كبرى ، كما ساهمت في تنمية الدلالة الشعرية والحس الوطني الذي ترجمه الشاعر بأسلوبه الخاص .

– جمع الشاعر بين المرأة والوطن ، وعرف كيف يصوغ الوطن في صورة المرأة ، مثلما استطاع أن يصوغ المرأة في صورة وطن واسع مترامي الأطراف ، لنحصل في نهاية المطاف على قصائد متميزة تكوينها هو مزيج بين المرأة والوطن .

– وازى نزار بين حبّه العاطفي وحبّه القومي ، ورفع هذه القضية من المستوى الذاتي السطحيّ إلى المستوى الوطني ذو الهمّ العام ، واضعا مخططا جديدا لحبّ عربيّ جديد يتجاوز الانفعالات السطحية الضيقة .

– تجاوز حضور المرأة في قصائد الشاعر تاء الأنوثة ليجسّد لنا عالما أوسع هو الوطن ، فتداخلت أوصاف كلّ منهما ، وكما أسندت أوصاف المرأة للوطن تمّ إسناد المكانية إلى المرأة ، وتهدمت كلّ الحواجز بينهما ، وتداخلت خطوط صورتيهما لما بينهما من نقاط اِلتقاء كثيرة ، فكلاهما رمز للأمن والاستقرار والحياة .

– أصبحت المرأة عند الشاعر وسيلة لتجسيد مواقفه تجاه وطنه ، وأضحت تعبيرا عن الصدى الصادق للحدث الإنساني الوطنيّ ، ولم يعد الجسد دوما الجسد الجميل المشتهى ، بل تحول إلى دلالات تحيل إلى الأرض والوطن ، وتحولت إلى رمز لقضايا الاستقلال والثورة ، وأضحت صورة وطنية ، وأيقونة تختصر في شكلها وأزيائها ومواقفها قصة شعب وأمة عربية برمتها .

– اقترن الوطن عند الشاعر بالمرأة ، حيث صار يتغزل فيه مثلما يتغزل بالمرأة التي أصبحت خارطة مفصلة لتضاريسه ، فأسلوب تأنيث المكان مرتبط بفكرة الأنوثة بما للمرأة من معاني الوطن .

– لقد أصبح الشاعر يكتب بالمرأة للوطن ، وغدت المرأة جزءا من قضية كبرى ، وسببا وجيها من أسباب الحياة ، يتبنّاها الشاعر كحل للهروب من الواقع المرّ الذي يعانيه الوطن ، ويحمّلها رموز النضال والثورة .

– إنّ المزج بين المرأة والوطن في شعر نزار قباني يمدّ بتجاربه الفنية بنفس عاطفي خضيب يولّد تلك الرؤية الحية ، حيث تحولت القصيدة إلى ومضة حلم يتميز فيه الحبّ بالوطنية وتمتزج فيه صورة المرأة بالوطن .

هذه إذن ، أهمّ النتائج والملاحظات التي انكشفت لنا خلال رحلتنا البحثية ، لنقول في الختام أنّ طموحات البحث كانت كبيرة في دراسة " ثنائية المرأة والوطن " ، ولكن يبقى ما حققه البحث دون ذلك ، لأنّ مقاربة كلّ الإشكاليات التي يطرحها هذا الموضوع لا يمكن أن يفي به جهد واحد مهما كانت سعته واستقصاءاته ، ولذلك يبقى الكثير من الأسئلة معلقا ينتظر جهود بحوث أخرى ، لأنّ قراءتي لا تدّعي الإحاطة الشاملة بجوانب البحث المختلفة والمتشعبة ، وإنّما هو مجهود بذلته مخلصة غير مقصّرة ، والله على ما أقول شهيد ، ومنه التوفيق وإليه الرجاء .

فهرس الموضوعات :

الموضوع :..... الصفحة

مقدمة ..... أ– ج

مدخل : المرأة والوطن في الشعر العربي المعاصر..... 6 –18

1 – مفاهيم عامة حول منهج الدراسة..... 6

2 – جدلية المرأة والوطن في الشعر العربي المعاصر 9

أ– المرأة الرمز..... 10

ب– المرأة والوطن 12

ج– المرأة والحرية 15

3 – المرأة والوطن موضوع خام للشعر العربي المعاصر 18

الفصل الأول : صورة المرأة والوطن في شعر نزار قباني..... 20– 44

I. صورة المرأة في شعر نزار قباني 21

1 – المرأة الإنسان 21

أ– المرأة الجسد 22

ب– أشياء المرأة 25

ج– المرأة القضية 26

2 – المرأة والقصيدة 32

II. صورة الوطن في شعر نزار قباني..... 36

1 – مفهوم الوطن عند نزار قباني 37

2 – أهمّ القضايا الوطنية التي تناولها الشاعر..... 39

– هزيمة الفكر والتخلّف وانعدام الوعي..... 39

– الوحدة العربية..... 40

– القضية الفلسطينية 41

الموضوع :..... الصفحة

- الحرية والثورة 43

الفصل الثاني : ثنائية المرأة والوطن في شعر نزار قباني..... 46-64

1 - جدلية المرأة والوطن..... 47
2 - المرأة الوطن 53
3 - الوطن المرأة 58

خاتمة 66-67

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

1 – محفوظ كحوال : أروع قصائد نزار قباني في الحبّ والوطن والسياسة ، دط ، نوميديا للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 .

نزار قباني :

2 – أشعار خارجة عن القانون ، دط ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، 1986.

3 – الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ط2 ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، دت .

4 – الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ط2 ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، 1999.

5 – الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ط2 ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، دت .

6 – الأعمال الشعرية الكاملة ، ج4 ، ط2 ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، 1998 .

7 – خمسون عاما في مديح النساء ، دط ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، 1994 .

المراجع :

1 – إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، دط ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1978 .

2 – أحمد تاج الدين : نزار قباني والشعر السياسي ، ط1 ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ،2001 .

3 – أحمد حيدوش : شعرية المرأة وأنوثة القصيدة : قراءة في شعر نزار قباني ، دط ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 .

4 – التهامي الهاني : الوطن والمرأة في شعر نزار قباني ، ط2 ، دار صامد للنشر والتوزيع ، صفاقس ، تونس ، 2004 .

5 – جميل حمداوي : السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق ، ط 1 ، الورّاق للنشر والتوزيع ، عمّان ، 2011 .

6 – حافظ إبراهيم : الديوان ، ضبط وشرح أحمد أمين وآخرون ، ط3 ، دار العودة ، بيروت ، 1990 .

7 – حبيب بوهرر : تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، دط ، عالم الكتب الحديث ، عمّان ، الأردن ، 2008 .

سميح القاسم :
8 - الأعمال الكاملة ، ج2 ، دط ، دار سعاد الصباح ، القاهرة ، 1993 .
9 - الديوان ، دط ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، 1987 .
10 - شكري محمد عياد : نزار قباني ولعبة الحرف ، دراسة ضمن : نزار قباني شاعر لكل الأجيال ، ج1 ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، 1998 .
11 - صلاح فضل : شفرات النص : دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد ، ط 2 ، عين للبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، 1995 .
12 - عبد الرحمن الوصفي: نزار قباني شاعرا سياسيا ، ط2 ، دار الفكر الحديث، القاهرة ، 2002 .
13 - عبد المالك مرتاض : التحليل السيميائي للخطاب الشعري ، دط ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، الجزائر ،2001 .
14 - عصام خلف كامل : الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر ، دط ، دار فرحة للنشر والتوزيع ، السودان ، 2003 .
15 - محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري : استراتيجية التناص ، ط 3 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، 1992 .
محمود درويش :
16 - الأعمال الأولى ،ج1 ، ط1 ، رياض الرئيس للكتب والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2005 .
17 - الأعمال الأولى ، ج2 ، ط1 ، رياض الرئيس للكتب والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2005 .
18 - نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، ط6 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1981 .
19 - نزار قباني: الأعمال النثرية الكاملة ، ج7 ، ط2 ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ،دت .

المعاجم :

1- فيصل الأحمر : معجم السيميائيات ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2010 .
2- لطيف الزيتوني : معجم مصطلحات نقد الرواية ، ط1 ، دار النهار للنشر ، لبنان ، 2002 .

المقالات :

1- فاتح علاّق : التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر، مجلة جامعة دمشق ، مج 25 ، عدد 1+2 ، 2009 .

2- ميلود قيدوم : التأويل السيميائي : قصيد " وعاد ... في كفن " نموذجا ، الملتقى الرابع في الأدب والمنهج : التأسيس المنهجي للدراسات النصية ، جامعة 8 ماي 1945 – قالمة – ، 25 ، 26 أكتوبر 2011 .

الدراسات والأطاريح :

1- رضا محمد لداودة : القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر ، رسالة ماجستير ، جامعة بير زيت ، فلسطين ، 2005 .

2- يوسف عبد المجيد فالح الضمور : صورة المرأة في شعر خليل مطران ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ، 2011 .

المواقع الإلكترونية :

1- عمار عكاش : صورة المرأة في الشعر العربي المعاصر ، الحوار المتمدن ، عدد 1131 ، 8 مارس 2005 ، ينظر الموقع الإلكتروني : www.ahewar.org .